

قصص للأطفال

أحلام العصافير

تأليف
عبد الله لالي

مطبوعة المهرجان الثقافي المحلي "للقراءة في احتفال" لولاية بسكرة

قصص للأطفال:

أحلام العصافير

تأليف: عبد الله لالي

أحلام العصافير

أيها الأطفال الأحبّة هذه باقة من القصص التي
كتبتها إليكم يا رجال المستقبل ويا أمل الآباء
والأمّهات، هي سبع من القصص المتنوّعة
فيها المغامرة المثيرة، والحكمة النافعة والخيال
الواسع والمعلومات العلمية المفيدة إنها قصص
مسلية تحتوي معارف قيمة.
وأعرف جيّدا أنكم تحبون القصص وتتشوقون
لقراءة المغامرات التي فيها البطولة والشجاعة
والتي يكون النصر فيها دائما للحق والخير
والسلام فاقرأوا واستمتعوا واستفيدوا.

عبد الله لالي بسكرة في: 18 جويلية 2006 م

كنز الكنوز

اقترب الغزاة من القلعة الحصينة مصوبين نحوها نيران بنادقهم ومدافعهم التي تسطع في الظلمة مثل الشهب في السماء...

استعدّ الجدّ إبراهيم للدفاع عن قلعته الرائعة التي ورثها عن أجداده العظماء. وزّع أبناءه وأحفاده على كل زواياها وأبوابها وأمرهم أن لا يفرّطوا في قلعتهم المجيدة وأن لا يتخلّوا عن شبر واحد منها حتى يسقطوا جمعيا شهداء.

وفي الوقت ذاته دعا أصغر أحفاده "**يعرب**" و"**مازيغ**" إلى مكتبة القلعة الضخمة، وراح يوصيهما وفي صوته نبرات يملأها الحزن والأسى:

- اسمع يا" يعرب" وأنت يا"مازيغ" أنتما أصغر أحفادي وأكثرهم ذكاء وفطنة، سأخبركما بسرّ خطير ولكن قبل ذلك عداني أن تحفظاه وتبذلا روحيكما في الدفاع عن الأمانة التي سأودعها لديكما.

أجابه يعرب ومازيغ بصوت واحد:

- نعدك يا جدّي.. ولن نفرّط في الأمانة أبدا.

تنهّد الجدّ من أعماقه وهو يحاول حبس الدموع التي ترقرقت في عينيه، ثم قال:

– اتبعاني سأريكما كنزا عزيزا لا يقدّر بثمن، بل هو " كنز الكنوز" .

ومشى خطوات نحو الجدار الأيمن للمكتبة وحرّك رفا للكتب بيديه المرتجفتين فانفتح باب سرّي يقود إلى سرداب تحت الأرض...

أوقد الجدّ مصباحا زيتيا كان موضوعا على رفّ آخر من المكتبة وهبط الدرج في تمهّل، ولحق به يعرب ومازيغ إلى أن وصلوا إلى قاعة كبيرة خالية من الأثاث، إلاّ صندوقا صغيرا قديما.. فاتجه نحوه الجدّ إبراهيم وفتحه وأخرج منه كيسا مختوما، قبله بحرارة ودموعه تبلل الكيس وبعد لحظات رفع رأسه وقال:

اسمع يا يعرب ويا مازيغ.. إنّ قلعتنا وقلعة أجدادنا توشك أن تسقط في يد الأعداء، وزعيمهم " بيجو " مصمم على تدميرها وتدمير كل ما فيها، وعليكما أنتما الاثنان الفرار بكنز الكنوز حتى لا يستولي عليه " بيجو " وجنوده وهو أمانة في عنقيكما، تحملانه من مكان إلى مكان ومن أرض إلى أرض، تطوفان به أنحاء البلاد بكاملها، حتى ييأس الأعداء من القبض عليكما... وستجدان في كل ناحية من أرضنا رجالا مخلصين لا يخشون الموت؛ يساعدونكما على حفظ كنز الكنوز وإيصاله إلى رجل حكيم يسمّى " عبد الحميد " وذلك الذي يكون على يديه بناء القلعة من جديد وإعادة مجد الآباء والأجداد.

ثم سلّملهما الكيس وقبّلهما واحدا تلو الآخر وأشار بيديه إلى ممرّ سرّي؛ يخرج من القلعة ويوصل إلى عمق الغابة البعيدة.. ودّعاه وهما يبكيان، ثم انطلقا بعزم وتصميم كبير.

وبعد حصار دام عدّة أيام تمكّن الأعداء بقيادة المجرم السفّاح " بيجو " من دخول القلعة، فقتلوا كثيرا من سكّانها وأسروا الباقين، وأوّل عمل قاموا به بعد ذلك أنهم دخلوا المكتبة الكبيرة وأحرقوا الكتب الموجودة بها، وقد صرخ بيجو في رجاله قائلا:

– أحرقوا كل الكتب التي تعثرون عليها.. لا أريد أن أرى حرفا عربيا واحدا يقرأ في هذه البلاد.

وفي لحظات قصيرة أصبحت القلعة سوداء؛ تتصاعد من أنحائها المختلفة أعمدة الدخان الكثيف وأجيج من النار اللاّهبة يأكل كلّ شيء فيها.

سار مازيغ ويعرب في طريق الغابة الكثيفة وقد أحسا بالجوع والعطش الشديدين، لكنهما أصرّا على مواصلة الدرب والصبر على الصعاب.

هبط الليل شيئا فشيئا وعوت الذئاب من كل ناحية وظهرت عيون تبرق مثل الشرر في الظلمة، وبدأت تقترب منهما ببطء، فانطلقا يجريان بكل قوّتهما.. وظهرلهما من بعيد ضوء يسطع بين الأشجار فاتجها نحوه وكانت الذئاب تعدو خلفهما وريقها يسيل بغزارة منتظرة الفرصة السانحة لتمزيق لحمهما الشهيّ.

نظر مازيغ فرأى كوخا بسيطا بين أشجار الغابة، فشدّ على يد أخيه يعرب وقال:

– تعال لنحتمي بذلك الكوخ قبل أن تدركنا الذئاب وتمزّقنا بأنيابها التي لا ترحم.

واندفعا يركضان نحو الكوخ مثل مهرين بريين بكل قواهما وسرعتهما حتى وصلا، فأخذا يطرقان الباب بأيديهما المرتجفة... وانفتح الباب وظهرلهما شيخ يرتدي عمامة سوداء وجلبابا أبيض وقد أرسل لحية شقراء تملأ وجهه الذي أشعّ منه نور باهر.

بادرهما الشيخ قائلا:

– مرحبا بكما يا يعرب ويا مازيغ تفضلا.. أدخلا.. هنا لا تخافا شيئا؛ الذئاب لا تجرؤ على الاقتراب من كوخ الشيخ " صنهاج بن هلال ".

دهش الفتيان لمعرفة الشيخ اسميهما ووقفا لحظة مبهورين، لكنّ الشيخ سارع وأنقذهما من الحيرة قائلا:

– اجلسا... استريحا، هنا الأمان والهناء لا ترتعبا، وأشار إلى فراش بسيط على الأرض من جلد الغنم.

استلقى يعرب ومازيغ على الفراش مرهقين من التعب الشديد، وجاءهما الشيخ صنهاج بلبن وتمر وأرغفة خبز وطلب منهما أن يأكلا، فراحا يلتهمان ما أمامهما بنهم وشهية كبيرة، وبعد قليل شعرا بشيء من الراحة والنّشاط.

سأل يعرب الشيخ صنهاج قائلا:

– أتعرفنا أيّها الشيخ الكريم ؟

ابتسم الشيخ صنهاج بن هلال ابتسامة واسعة ثم قال:

– أنا هنا منذ أمد بعيد أنتظركما حتى أرشدكما إلى طريق النور والضياء.

ثم أخبرهما أنّ جدّهما أرسله منذ زمن بعيد ليقيم في هذا المكان بانتظارهما، وكان ذلك منذ أكثر من خمس سنوات، وأنّ جدّهما كان يشعر بالخطر الذي يهدّد قلعته، وكل القلاع الأخرى من حولهما، فحسب للأمر حسابه وأراد أن لا يقع الكنز في قبضة الأعداء، لأنّه مفتاح الخلاص والنجاة لكل أبناء هذه الأرض الطيبة.

وفي هذه اللحظة بالذات تذكر مازيغ ويعرب في وقت واحد الكيس الذي فيه "كنز الكنوز" فالتفت كلّ واحد منهما إلى الآخر وصرخا معا:

– الكيس..أين هو الكيس ؟

ووجدا أيديهما تشدّ عليه بكل قوة وتشبث، وظهرت على وجهيهما ابتسامة السعادة والارتياح.

ثم فكرا في فتح الكيس لمعرفة ما فيه فنظرا إلى الشيخ متسائلين... فقال لهما:

– افتحاه.. افتحاه فلا بدّ أن تعرفا ما فيه لتعلما قيمته الكبرى.

مدّ يعرب يده وفك الرباط عن الكيس ثم مدّ مازيغ يده واخرج ما بداخله، فتناوله الشيخ صنهاج ويداه ترتعشان من الشوق واللهفة فإذا هو ثلاثة كتب مذهبة، ملفوفة بخيط من حرير أخضر.. فكّ الشيخ الخيط وأخذ أوّل هذه الكتب وقرأ على غلافه:

– " **القرآن الكريم** "

وتمتم بارتياح:

– إنه كتاب الله العزيز..نور على نور.

وقبّله ثم وضعه على رأسه برهة وسلّمه للفتيين وأخذ الكتاب الثـاني فقرأ على غلافه:

- " **صحيح البخاري** ".

وسلّمه للفتيين أيضا للفتيين، ثم أخذ الكتاب الثالث وقرأ على غلافه:

- " **لسان العرب لابن منظور** ".

فقال عنه إنه كنز لغتنا العربية وسلّمه لهما أيضا وبعدها قال:

- هذا كنز الكنوز حقّا؛ كلام الله.. حديث نبيّه صلّى الله عليه وسـلّم.. ولغة القرآن في كتاب " لسان العرب " المشـهور، احفظا هذا الكنـز يـا يعرب ويا مازيغ واستعدّا للموت في سبيله، ثم تهيّآ للرحيل مع مطلع الفجر الجديد.

وقبل أن تبزغ الشمس من مشرقها استيقظ الشـيخ صـنهاج وأيقـظ يعرب ومازيغ، فصليا معه صلاة الصبح ثـم ودّعـاه مـنطلقين بكنـز الكنوز نحو أكبر واحة في الجنوب ليلتقيا بشيخ الصحراء الذي دلّهمـا عليه الشيخ صنهاج حيث يختفيان عنده فترة من الزمن قبل أن يكملا رحلتهما نحو مدينة الشرق الخضراء، أين سـيجدان الفتـى الشـجاع عبد الحميد الذي سيسلمانه كنز الكنوز ويطلبـان منـه أن يحفظـه في مكان لا يصل إليه الأعداء أبدا.

. . . .

وبعد عناء طويل وسير شاق علـى رمـال الصـحراء وتحـت حـرارة شمسها اللاهبة وصلا إلى الواحات وهناك سألا عن شيخ الصـحراء،

فدلهما عليه صبي صغير كان اسمه" تاهات " وما إن رآهما شيخ الصحراء حتى هرول إليهما مرحبا:

– أهلا بكما يا يعرب ويا مازيغ أنتما في أمان الآن ابقيا عندي ضيفين كريمين إلى أن ينسى الأعداء أمركما، ثم تنطلقان إلى واحة الغرب البعيد، أين ستجدان دليلا خبيرا يوصلكما إلى مدينة الشرق الخضراء، فبقي يعرب ومازيغ بين أهل الواحة الكبيرة يتعلمان ما في كنز الكنوز من علم ومعرفة، ويحاولان تعليم أهل الواحة ما تعلماه غير أنّ أهل الواحة كانوا منشغلين بالقتال مع الأعداء فلم يأخذوا منه إلاّ الشيء القليل، سوى الفتى " تاهات " الذي روّى من علوم ذلك الكنز العظيم وصار إماما لأبناء واحته وأخذ عهدا على نفسه أن يعلم الأجيال وينير عقولهم بكنز الكنوز.

ومرّت سنوات وسنوات والأعداء يفتشون عن يعرب ومازيغ في كل أرض وفي كل مكان، ويقتلون كلّ من يشتبهون في معرفته لهما أو تستره عليهما، وقد كانا ينتقلان من قرية إلى قرية ومن بيت إلى بيت، ومن غابة إلى جبل حتى يئس الأعداء من العثور عليهما وهناك قررا الرحيل إلى واحة الغرب وكان " تاهات " هو الذي أوصلهما إلى منتصف الطريق ثم ودّعهما وعاد راجعا إلى واحته الكبرى.

قبل أن يصل يعرب ومازيغ إلى هدفهما اعترض سبيلهما ثعبان عظيم له قرون من نحاس وعيون تلمع مثل الماس، فوقفا حائرين لا يدريان ماذا يصنعان.. فإذا بصوت يدوّي في الأفق:

– كنز الكنوز سلاحكما الكبير.. كنز الكنوز سلاحكما الكبير.

وفي هذه اللحظة تنبّها إلى القرآن الكريم فأخذا يقرآن منه بصوت جهوري، فإذا الثعبان يتصاغر ويتقلّص إلى أن صار مثل دودة صغيرة محتقرة، فتركاه وذهبا بسلام وهما يمسكان كنز الكنوز بكل قواهما.

وبمشقّة بالغة وصلا إلى واحة الغرب البعيد وسألا عمن يدلهما على طريق مدينة الشرق الخضراء، فقادهما القدر إلى امرأة عجوز تسوق غنما فسألاها شربة لبن فأعطتهما منه حتى رويا ولما اطمأنّا إليها قصّا عليها حكايتهما فابتسمت فظهرت أسنانها المتهدمة وقالت:

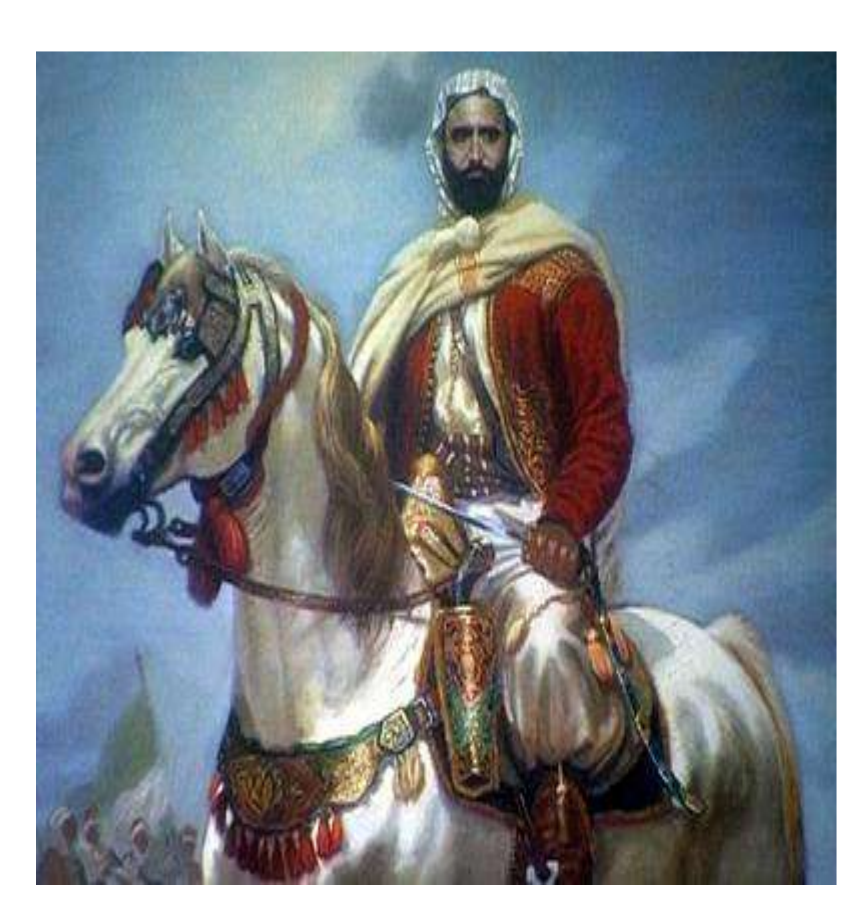
- أهلا بكما يا يعرب ويا مازيغ اتبعاني إلى كوخي المتواضع الصغير هناك تجدان دليلكما الذي تبحثان عنه.

عندما وصلوا إلى الكوخ دفعت العجوز الباب الخشبي بعصاها ودخلت، فدخلا وراءها ولمّا استراحا بعضا من الوقت جلست أمامهما العجوز " أم عسكر " وحكت لهما قصّة المجاهد الكبير الأمير **عبد القادر** الذي قاد الرجال الأبطال لمقاومة الأعداء، وتمكن من هزيمة الجنرال " بيجو " عدّة مرّات غير أنهم خدعوه في إحدى المعارك واستطاعوا القبض عليه، وأخذوه معهم إلى بلاد الثلج والجليد.

ولكنه قبل أن يرحل أوصى والد العجوز " أم عسكر " أن يبقى في هذا الكوخ إلى أن يأتي شابان ذكيان يدعيان يعرب ومازيغ.. ثم قالت العجوز:

ومات أبي منذ سنوات وقد أقمت مكانه بانتظاركما تطبيقا لوصيته - رحمه الله - وها أنتما الآن هنا حفظكما الله ورعاكما، وأنا هي

دليلكما إلى المدينة الخضراء؛ مدينة الشرق العظيم ولكن عليكما قبل ذلك أن تمرّا بوادي الأهوال والأغوال.



الأمير عبد القادر

صرخ مازيغ ويعرب معا:

– ماذا وادي الأهوال والأغوال ؟

– أجابت العجوز " أم عسكر" وهي تبتسم:

– لا تخشيا شيئا مادام معكما أقوى سلاح في الوجود.

ونظرت إلى الكيس الذي يمسكان به بكل قوّة. فأجابها يعرب:

– إنك بلا شك تقصدين " كنز الكنوز".

حرّكت العجوز رأسها موافقة، وبعد أن باتا تلك الليلة بكوخ العجوز انطلقت بهما مع الفجر؛ تسوق أغنامها كأنها تبحث عن المرعى وهما خلفها يسيران بعزم وثبات وإرادة قويّة.

ومضت سنوات وسنوات وهم في سفر طويل ينتقلان من سهل إلى جبل ومن واد إلى هضبة، والعجوز صابرة شجاعة كلما قابلت مجموعة من جنود الأعداء قالت: أنا عجوز راعية وهذان ابناي يرعيان معي، فيحتقرونها ثم يذهبون.. وهي تقول في نفسها:

– أوشك فجر الخلاص منكم أن تشرق شمسه أيها الخنازير الأنذال.

وأخيرا وصلوا إلى وادي الأهوال والأغوال، وهناك أشارت العجوز إليهما قائلة:

– هنا ينتهي دوري أنا.. وأنتما أيها الرّجلان الشجاعان عليكما إكمال رحلة الجهاد والأخطار لتصلا إلى مدينة العلم والنور.

ودّعاها ودموعها تسيل على خدّيهما ثم سارا منحدرين نحو وادي الأهوال والأغوال وهما لا يدريان ما ينتظرهما. وعندما اشتدّ بهما

الجوع والعطش جلسا تحت شجرة وأخذا قليلا من الطعام وبدأ يأكلان بنهم.

وبينما هما كذلك ظهرلهما تنين جبّار من أعماق الوادي.. فارتعبا منه أشدّ الارتعاب وتناولا مجموعة من الحجارة وبدآ يرميانه بها، إلاّ أنّه لم يتأثر بذلك وأخذ يقترب منهما شيئا فشيئا وهو يخرج من منخريه دخانا كثيفا ولمّا كادا ييئسا؛ سمعا الصوت الجهوريّ ذاته الذي أنقذهما في الصحراء يدوّي:

– كنز الكنوز سلاحكما الكبير.. كنز الكنوز سلاحكما الكبير.

فتذكرا القرآن الكريم فجعلا يتلوانه بصوت قويّ ومؤثر فسقط التنين صريعا بعد لحظات.

وفي نهاية المطاف وصلا إلى مدينة الشرق الخضراء وبدآ يسألان عن الشيخ عبد الحميد ولكنهما لم يعثرا له على أثر.. فجلسا في أحد الأيام بساحة المسجد الكبير يدرسان كتاب " **لسان العرب** " فسمعا الإمام يتحدّث إلى شاب قربه وهو يسأله:

– ألم تعثر على كنز الكنوز بعد يا فتى ؟

أجابه الفتى في إيمان ويقين:

– أنا مازلت أبحث بجدّ واجتهاد وأنا على يقين أنّي سأجده مهما طال الزمن..

وفي هذه اللحظة قفز يعرب ومازيغ من مكانيهما وقالا بصوت واحد:

– هل أنت " عبد الحميد " أيّها الشاب الكريم ؟

فأجابها بكل هدوء وسكينة:



الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس

- أجل أنا هو عبد الحميد.

فقال له مازيغ:

أخيرا عثرنا عليك يا أمل البلاد وفجرها المنتظر، هذا كنز الكنوز حملناه إليك منذ سنين طويلة.. منذ كنّا شابين صغيرين وها قد صرنا شيخين كبيرين.

دعاهما عبد الحميد إلى بيته واستظافهما عنده، وبعد أن استراحا بضعة أيام واستعادا قوّتهما وبينما كانا يجلسان معه على مائدة الطّعام سألاه:

- بالله عليك يا عبد الحميد أخبرنا كيف ستحفظ كنز الكنوز فلا يصل إليه الأعداء أبدا.

تبسّم عبد الحميد في ثقة وقال:

- سأخبئه في مكان لا يصل إليه الأعداء أبدا.

سألاه مرّة أخرى:

- أين... أين ؟

أجاب عبد الحميد بن باديس الصنهاجي وقد بدا على وجهه الجدّ والحزم:

- في صدور الرجال وقلوب المؤمنين المخلصين، فتردّده الألسنة والشفاه بإيمان ويقين.

وشعر يعرب ومازيغ بالراحة والاطمئنان وعلما أنّ ابن باديس سيحفظ العهد ويؤدّي الأمانة..

وبعد بضع سنين كان الآلاف من رجال ونساء البلاد يحفظون كل ما في كنز الكنوز من علم ومعرفة، وبعد بضع سنين أخرى ثاروا ثورة جبّارة على الأعداء وطردوهم من أرضهم الطاهرة وعاد النور يشع في الأرض من جديد.

العصفور الأخضر

رقد تقي الدّين على فراشه الوثير، بعد أن حكت له جدته قصة العفاريت التي سرقت الشمس الذهبية وأطفأت نورها الذهبي في بحيرة "الرّبع الخالي" السوداء.

وفي تلك الليلة أبصر تقي الدين في منامه الشمس الذهبية في الأفق البعيد تلوّح له بأشعتها الذهبية اللامعة وتنادي مستغيثة:

- أنقذني يا تقي الدين.. أنقذني يا تقي الدين، ستسرقني العفاريت.. ستسرقني، أنقذني..

ونظر تقي الدين إلى الجهة الغربية فرأى سحابة سوداء رهيبة؛ محمّلة بآلاف من العفاريت المرعبة، تسوق تلك السحب صوب الشمس الذهبية الوحيدة في الأفق الصافي.

وعاد صوتها الحزين ينادي مرّة أخرى:

- أنقذني يا تقي الدين.. أنقذني يا تقي الدين..تقي الدين.. تقي الدين..

استيقظ تقي الدين وهو يلهث والعرق ينزل من جبينه غزيرا، والتفت فإذا أمه بجانبه تمسك بكتفيه وتقول له:

- استيقظ يا تقي الدين إنه حلم.. حلم فقط وذهب لحاله ولن يعود فلا تخف.

سألها تقي الدين والخوف يملأ قلبه:

– ولكن يا أمي الشمس تناديني لأنقذها من العفاريت الشريرة.

ضحكت الأم من كل قلبها ومسحت على رأس ابنها بحنان وقالت له:

– لا شمس هنالك يا ولدي فالظلام مازال يغطّي الدنيا.. فـنم.. نم ولا تخف من شيء يا ولدي إنه حلم؛ حلم فقط فلا تشغل بالك بالأحلام.

ولكنّ تقي الدين لم يقتنع بكلام أمه وأراد أن يخـرج في ظلمـة الليـل ويبحث عن الشـمس الذهبيـة الـتي تصـرخ خوفـا مـن العفاريـت.. وتظاهر بالنوم حتى ذهبت أمه إلى غرفتها، فتسـلل إلى المطـبخ ومـلأ جيوبه بحفنات من التمر ثم خرج من النافذة إلى حديقة الـدار وقلبـه يدق بسرعة وشدة شوقا خوفا على الشمس الذهبية.

وما كاد يخطو بضعة أمتار حتى سمع صوتا خافتا يخاطبه:

– تقي الدين... تقي الدين إلى أين تذهب في هذا الليل الحالك ؟

التفت تقي الدين إلى جهة اليمين فوجد شـجرة الـتين تحدّثـه بحـيرة وخوف عليه فأجابها بتصميم:

– أنا ذاهب لأبحث عن الشمس الذهبية، أو لا تعلمين مكانها ؟

– الشمس الذهبية كم أنا في شـوق إليهـا.. ولكـن لا أدري أيـن هـي، اذهب إلى النبع الفضي هناك عند سفح الجبل فربّما كان يعـرف أيـن هي فإنّها كلما بزغت عكست أشـعتها الذهبيـة علـى صـفحة مياهـه الدافقة.

شكر تقي الدين التينة الطيبة وسـار في حلـك الظـلام قاصـدا النبـع الفضي ولم يصل إليه إلا بعد ساعات من المشي الطويل فأصابه تعب شديد وما إن رآه حتى صاح بكل قوّة:



العصفور الأخضر

- تحية أيها النبع النقي وسلاما.. آلا تعلم مكان الشمس الذهبية ؟

صدر عن النبع خرير عذب فيه شيء من الحزن ثم قال:

- الشمس الذهبية.. ؟ كم من سنين مضت ولم أر لها وجها ولم تلامس أشعتها الدافئة؛ مياهي العذبة.. ولكن سر قليلا خلف هذا الوادي الفسيح وستجد رأس الجبل العملاق فإنها أول ما تظهر تشرق عليه فربّما علم بمكانها.

سار تقي الدين بخطوات ثابتة وإرادة قوية حتى وصل قبالة الجبل العملاق، فحيّاه بانشراح وسأله بلهفة:

- أيّها الجبل العملاق ألا تعرف أين أجد الشمس الذهبية ؟

طأطأ الجبل العملاق رأسه في حزن وقال:

- الشمس الذهبية كم يا ترى مرّ علي من زمن لم أر وجهها الضاحك؟

ثم أضاف الجبل قائلا:

- لكن ابحث عن العصفور الأخضر؛ فستجد عنده علم خبرها إن شاء الله.

سأله تقي الدين في حيرة:

- العصفور الأخضر ؟ أين أجد العصفور الأخضر ؟

فكّر الجبل قليلا ثم قال:

- لا أعرف أين بالضبط ولكن اسأل حكيم الغابة فعنده كتاب المعارف؛ فيه أخبار كل حيوانات الغابة فربما يدلك على مكان وجود

العصفور الأخضر..اذهب إليه فسوف تجـده في كوخـه هنـاك قـرب الصخرة البيضاء.

واشتدّ التعب والإرهاق بتقي الدين لكنه واصل طريقه بجد واجتهـاد حتى وصل إلى كوخ العجوز الكبير حكيم الغابة، فطرق بابـه طرقـات خفيفة.. وبعد لحظات سمع صوتا هادئا يجيبه بوقار:

– مهلا يا تقي الدين مهلا سأفتح لك الباب في الحين.

وانفتح الباب على مصراعيه.. نظر تقي الدين فـرأى شـيخا ذا لحيـة بيضاء، يحمل بيديه سراجا خافتا تكاد تطفئه ريـاح الغابـة الهوجـاء التي كانت تهبّ في تلك اللحظة بالذات.

قال تقي الدين:

– السلام عليك يا حكيم الغابة.

ردّ عليه الشيخ بفرح وسرور ودعاه ليدخل إلى كوخه المتواضع.. ولم يصبر تقي الدين حتى سأله على عجل:

– جئت أسألك يا سيدي عن كتاب المعارف فهل أجده عندك ؟

ابتسم حكيم الغابة ابتسامة عريضة وقال:

– أعرف.. أعرف ماذا تريد يا بني فأنا في انتظارك منذ سـنين طويلـة جدا لأسلمك الأمانة وتواصل مسيرة البحث عن العصفور الأخضـر، الذي يدلك على طريق الشمس الذهبية المسجونة في بحـيرة العفاريـت السوداء في الربع الخالي.

تفضّل يا تقي الدين هذا هو كتاب المعارف فأسرع بالبحث فيه قبل أن تذهب الشمس الذهبية وتختفي تماما فتبقى الأرض في الظلام الحالك إلى الأبد.

تناول تقي الدين الكتاب بيدين واثقتين وراح يقلب الصفحات بتدقيق وبحث عنيد عن العصفور الأخضر، وبعد ساعات طويلة ظنها حكيم الجبل قرونا عديدة لاح لتقي الدين من بين طيّات الكتاب خيال العصفور الأخضر، فقفز تقي الدين فرحا وصرخ بأعلى صوته:

– وجدته.. وجدته، هذا هو العصفور الأخضر يا مرحا يا مرحا..

بادر حكيم الغابة قائلا:

– اسأله عن الشمس الذهبية.. اسأله عنها قبل أن يختفي مرّة أخرى، فظهوره لا يدوم طويلا.

سأل تقي الدين العصفور الأخضر بلهفة:

– أين أجد الشمس الذهبية أيها العصفور الأخضر ؟

زقزق العصفور الأخضر بأنغام بديعة بضعة لحظات ثم قال:

– ضم كتاب المعارف إلى صدرك.. ضم كتاب المعارف إلى صدرك..

وما كاد تقي الدين يضم كتاب المعارف إلى صدره؛ حتى استيقظ من نومه على زقزقة عصافير الصباح ليجد نفسه في غرفته فقام نحو النافذة وفتحها على عجل فوجد الشمس الذهبية ترسل أشعتها الدافئة على الكون لتملأه ضياء وحياة.

انتقام الأسد

قصة من التراث المحلي:

جدتي فاطمة تحفظ كثيرا مـن القصـص والأمثـال والحكـم الرائعة، كنا كثيرا ما نلتف حـولهـا في فصـل الشـتاء وهــي تشوي لنا حبات البطاطا الحلوة في جمر الموقد الملتهب نستمع إليها ونحن نتلذذ بمضغ حبات البطاطا الرائعة وهي تحكـي قصصها الجميلة.

قالت جدتي ذات ليلة وهي تحدق طويلا إلى نار الموقد المشتعلة:

اسمعوا يا أحبائي:

يحكى أنّ امرأة صادقت أسدا وكان بينهما مودة كبيرة وكـان سـبب صداقتهما أن المرأة خرجت مع بعـض النســاء ذات يـوم للاحتطـاب، وكانت المرأة بطيئة المشـي، تقوللها صديقاتها كل مرة:

أسرعي يا كسول... أسرعي قبل أن يهبط الليل وتهاجمنا الذئاب.

فتجيبهن بغير اهتمام:

– ما يزال في النهار بقية، فلم العجلة ؟

وانتشرت النساء في الغابة يجمعن الحطب، وغابت المرأة عن أنظارهن داخل الغابة الكبيرة فلما جمعـت النســاء الحطـب وأردن العـودة إلى بيوتهن، بحثن عن صديقتهن فلم يجدنها، وكان الظلام قد بدأ يخـيم

على الغابة المخيفة بأشجارها الكثيفة ومتاهاتها العديدة، وعندها يئسن من العثور عليها وخفن مهاجمة الذئاب لهن فعدن إلى بيوتهن مسرعات والحزن يملأ قلوبهن خوفا عليها.

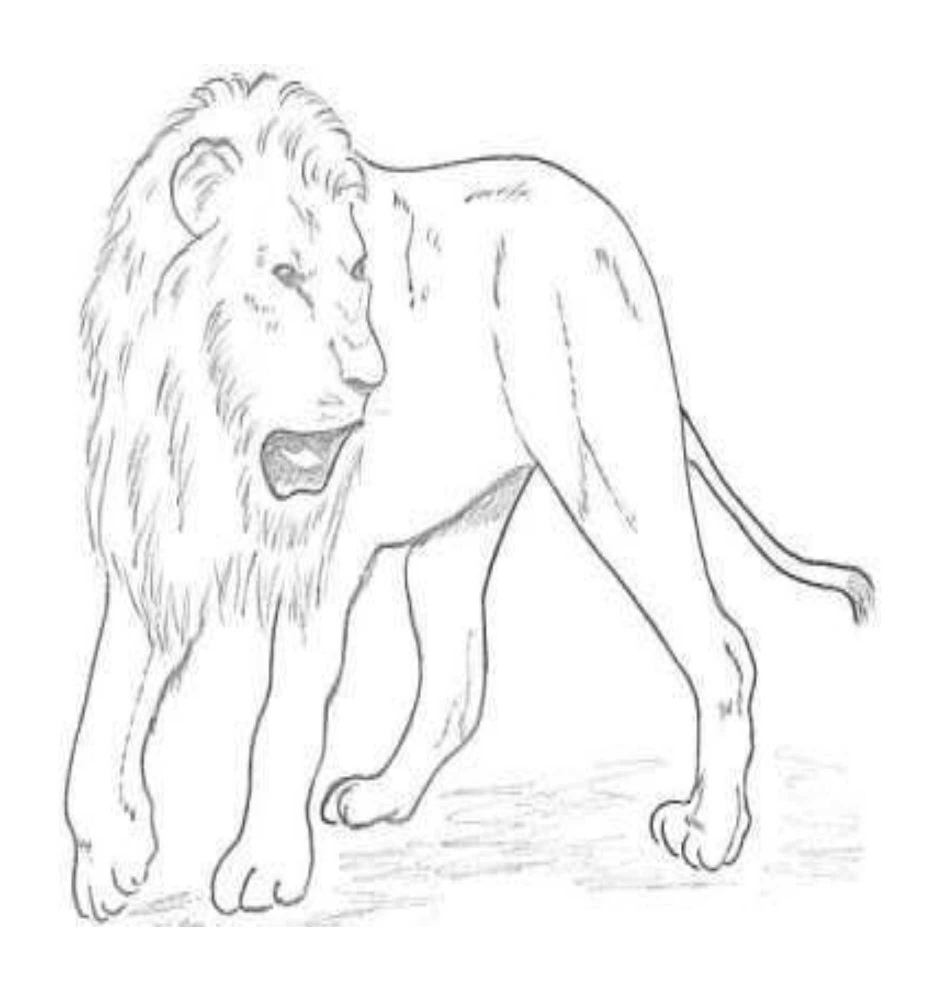
وبقيت المرأة وحدها في الغابة المرعبة ترتجف خوفا وفزعا، وهي لا تدري ماذا ستفعل وقد أضاعت الطريق، وكانت حزمة الحطب التي جمعتها كبيرة جدا فلم تستطع حملها، فجلست تحت جذع شجرة حائرة مضطربة، وازداد خوفها عندما بدأت تسمع عواء الذئاب ونعيب البوم... وأصبحت مثل أرنب مذعور...

وفجأة ظهر لها أسد أبيض اللون على رأسه تاج ذهبي يلمع تحت أشعة القمر، الذي بدأ يظهر في الأفق، فخافت المرأة خوفا شديدا وظنت أن الأسد يريد افتراسها، فالتصقت بالشجرة أكثر وازدادت دقات قلبها... لكن الأسد اقترب منها في هدوء وقال لها مطمئنا:

لا تخافي أيتها المرأة المسكينة فأنا ملك الغابة، والملك الشريف لا يعتدي على الضعفاء، ثم رفع حزمة الحطب الثقيلة على ظهره وقال للمرأة:

- هيا معي سوف أحمل عنك الحطب وأوصلك إلى بيتك فأنت الآن في حمايتي.

وبعد سير طويل سلك خلاله الأسد طريقا ملتويا، استطاع أن يوصل المرأة إلى بيتها في آمان وسلام، فوضع حزمة الحطب على الأرض أمام بيت المرأة وأراد الرجوع إلى الغابة، فقالت له المرأة:



غضبة الأسد

– أشكرك أيها الأسد الشهم، أشكرك أيها الملك النبيل، شكرا جزيلا، أرجو ألا تذهب حتى أستضيفك في بيتي وأكرمك.

فقال لها الأسد:

– ليس الآن أيتها المرأة الطيبة، سأرجع في يوم آخر يكون مناسبا أكثر فإلى اللقاء. ثم انطلق الأسد عائدا إلى الغابة الكبيرة...

وأصبح الأسد بعد ذلك يزور المرأة من حين لآخر ليتفقد أحوالها ويسال عن صحتها، وكانت المرأة تكرمه وتحسن إليه ردا للجميل، ووفاء للصداقة التي قامت بينهما...

ومرت الأيام والشهور وكانت المرأة تتحدث دائما عن صديقها الأسد وتذكر فضله عليها إلى جاراتها وإلى كل من يزورها في بيتها أو تذهب هي إلى زيارته، ومر الأسد ذات يوم قرب بيتها فقال في نفسه:

" سأذهب إلى صديقتي المرأة التي أنقذتها وساعدتها في الغابة وأسألها عن حالها... فلمّا اقترب من البيت، سمع المرأة تتحدث إلى إحدى جاراتها قائلة:

إنّ ملك الغابة قدم لي خدمة لا أنساها له طول عمري، فهو ملك بحق... شجاع وشريف... لولا... (وسكتت قليلا) ...

فقالت الجارة:

– هيه أكملي لولا ماذا ؟ فأضافت المرأة:

– لولا أن رائحة فمه نتنة... وفمه كريه " أبخر " *...

فلما سمع الأسد هذا الكلام البذيء في حقه استدار راجعا إلى الغابة وقرر أن ينتقم من المرأة التي أساءت إليه وجحدت الجميل، بعدما أحسن إليها الأسد، ملك الغابة العظيم.

ومرت الأيام ...فخرجت المرأة ذات يوم تحتطب كعادتها، فرأت الأسد بين الأشجار يقف في انتظارها، فقالت له:

– مرحبا أيها الأسد الشهم، لقد طال غيابك فلما لم تزرنا منذ مدة؟ فأنا أحب أن تزورنا دائما لأرد لك ولو جزءا يسيرا مما قدمته لي من معروف كبير.

فقال لها الأسد:

وأنا الآن بدوري أريد منك خدمة، أرجوا أن تحققيها لي دون تردد وهي سهلة يسيرة فقالت المرأة بفرح وسرور:

– نعم سأفعل كل ما تطلبه...

فقال الأسد في حزم:

إذا اضربيني على جبيني بالفأس الذي بيدك..

فاندهشت المرأة برهة من الزمن ووقفت جامدة في مكانها.. ثم قالت:

– ماذا تقول أيها الملك النبيل ؟

فقال الأسد مزمجرا:

لقد قلت ما سمعته، اضربيني بالفأس على الجبين.

فقالت المرأة متعجبة:

وكيف أضربك بالفأس وأنت من أحسن إلي وساعدني، بل وأنقذتني من الموت ؟

فقال:

– الأسد لابد من ذلك.. وإذا لم تفعلي فسآكلك حالا بلا شفقة ولا رحمة.

فخافت المرأة على نفسها وحملت الفأس ويداها ترتعشان من الخوف والحيرة، ثم ضربت الأسد ضربة خفيفة، فجرحته وسال الدم على وجهه.. عندها استدار الأسد واختفى داخل الغابة الكثيفة دون أن يقول أية كلمة..

أمّا المرأة فقد بقيت مدة طويلة حائرة لا تدري ما تفعل ولا تفهم لماذا أمرها الأسد بأن تضربه على جبينه وتسيل دمه... وعادت إلى بيتها وقصت على أقاربها وجيرانها كل ما حدث...

ومر عام كامل لم تر فيه المرأة الأسد ولم تسمع أخباره... ولكنها ذات يوم بينما كانت تملأ الماء من البئر رأت ظلا لكائن حي يتحرك في الماء، يشبه شكله شكل صديقها الأسد ملك الغابة، فنظرت خلفها فوجدت الأسد ينظر إليها بغضب شديد..

وقبل أن تنطق بكلمة واحدة قال لها الأسد:

أيتها المرأة الناكرة للجميل، أنظري إلى الجرح الذي سببته لي... ماذا ترين ؟ هل بريء أم مازال يسيل منه الدم ؟

فقالت المرأة وهي ترتعش من الخوف:

– الحمد لله.. لقد بريء الجرح، ولكنك أيها الملك الشريف أنت من أرغمني على فعل ذلك الفعل الشنيع...

فقال ملك الغابة:

– نعم الجرح يبرأ... ولكن الكلام البذيء لا يبرأ أبدا، لقد سمعت ما قلته عني لجارتك، بأن فمي كريه الرائحة و"أبخر " إن هذا الكلام البذيء الذي وصفني به لسانك، أشد علي من الضربة التي سببها لي فأسك... (**فالجرح يبرأ والكلام البذيء لا يبرأ**) وما جزاءك إلا الموت... ثم انقض عليها والتهمها بقضمة واحدة...

* ـ **أبخر**: كريه الرائحة.

قصّة جدّتي

كان لجدتي قطة بيضاء في رقبتها طوق أسود من الشــعر... وكانت جدتي تحبها كثيرا وتعتني بها عناية فائقة ، تقاسمها طعامها ، وإذا جيء لها بالحليب آثرتها على نفسها بالنصيب الأكبر منه ...

وكلما نهضت جدتي للصلاة وفرشت ســجادتها، أقعـت القطـة علـى طرف السجادة تنظر إليها بحنان كبير، وهي تركع وتسجد...

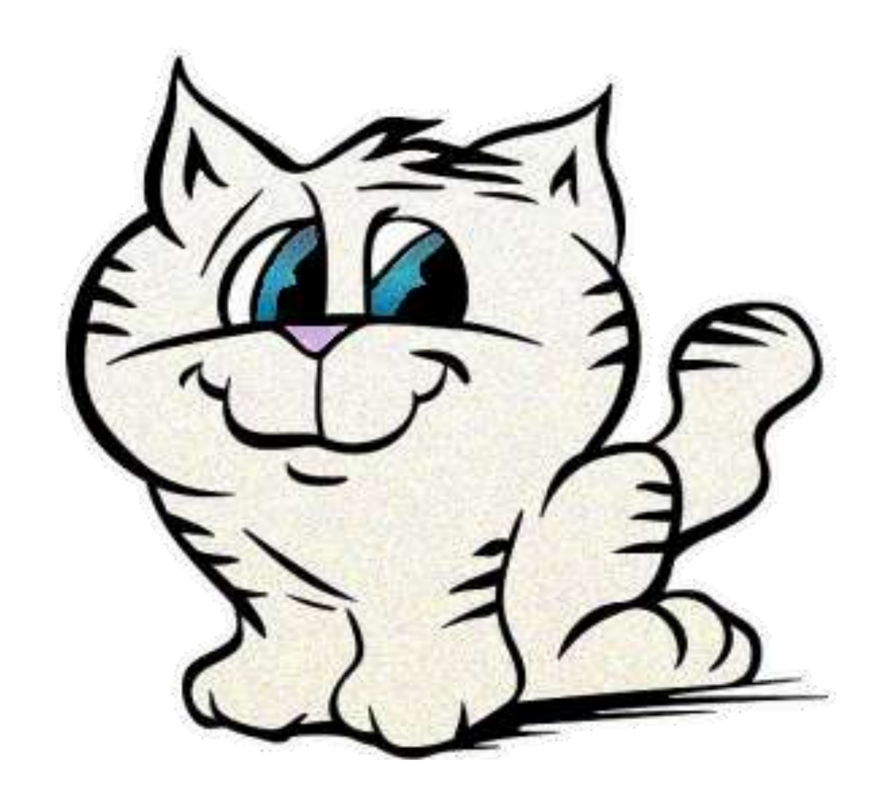
وإذا أرادت جدتي النوم، سبقتها إلى فراشـها... ونامت إلى جانبها، فلا تنهرها ولا تنزعج منها أبدا، وكنا نحن الأطفال نحب القطة كثيرا، لأن جدتنا تحبها... لكننا أحيانا نغار منها، لأن جدتنا كانت تدللــها كـثيرا، حتى أنها طالما حممتها وغسلتلها فروها... وإذا أخطـأ أحـدنا وداس على ذيل القطة، فالويل له من عصا جدتي الغليظة.

وتعلق أخي الصغير يوسف بالقطة تعلقـا كـبيرا، فكـان يرعاهـا مـع جدتي ويساعدها على الاعتناء بها.

وإذا غابت جدتي أو مرضت أوصته بالقطة فيؤدي مهمته على أحسن ما يرام، فترضى عليه جدتي وتخصــه بـبعض مخبآتهـا مـن الكعـك والحلوى والمكسرات...

وفي ليلة ممطرة انقطعت فيها الكهرباء... ماتت جدتي.. وتركت فراغـا كبيرا في بيتنا، وتركت قطتها المسكينة لا تكف عن المـواء، ليـل نهـار..

ورغم أن أخي يوسف كان قد خلف جدتي في رعايتها إلا أنها ظلت حزينة عليها ما يزيد على الشهر...



وشيئا فشيئا بدأت تشعر أن الجدة سوف لن تعود أبدا، فأصبحت لا تكاد تفارق أحضان يوسف... حتى أنها تتبعه أثناء ذهابه إلى المدرسة، وتربض أمام بابها إلى أن يدق جرس الخروج، فتهرع إليه مرحة جذلانة..

وحدث ذات يوم أمر لم يكن في الحسبان... فقد جاءنا أبي ذات مساء وأخبرنا أن عمله نقل إلى مدينة أخرى، ولابد من الرحيل، فحزنا جميعا على مفارقة الأهل والأقارب والأصدقاء، وحزن أخي يوسف أكثر عندما أخبره أبي انه لا يمكن أن نأخذ القطة معنا...

وعندما حان وقت الرحيل عزم أخي على أخذ القطة معه دون أن يراه أحد.

وكانت المفاجأة حينما وصلنا إلى بيتنا الجديد، إذ بالقطة تخرج من حقيبة يوسف وتنطلق مرحة وسط البيت، فغضب أبي غضبا شديدا وعزم على إرجاعها إلى مدينتنا الأولى، عند أول فرصة تتاح له...وفي يوم الجمعة الموالي أراد أبي السفر إلى مد ينتنا الأولى لإحضار بعض الأثاث الذي بقي هناك، فأخذ معه القطة رغم دموع أخي يوسف واستغاثاته بأمي وأختي الكبرى...

قال أبي في حزم:

– إن بيتنا الجديد ضيق.. وضمن عمارة بها كثير من السكان، فلا يصلح أن نربي فيه قطة تجلب لنا المتاعب...

وغابت عنا القطة عدة أسا بيع.. كان أخي خلالها لا يكف عن البكاء، حتى أصيب بمرض أقعده الفراش، حتى حن له أبي.. لكنه قال:

لقد ألقيت بها في شوارع المدينة القديمة التي كنا نسكنها، ولا أعلملها مكانا الآن، ولو عرفت مكانها لأعدتها لك.

لكن المفاجأة كانت أكبر عندما كنا نتناول طعام العشاء، ذات ليلة وإذ بحركة غريبة عند باب بيتنا، فاندفعت مهرولا لأستطلع الأمر...

وشدهت عندما رأيت قطة جدتي البيضاء تدخل البيت مثل السهم تتشمم المكان حتى عثرت على أخي يوسف وارتمت في أحضانه...

وفي تلك الليلة لم ينم أخي يوسف إلا في ساعة متأخرة، ونامت قطة جدتي البيضاء في أحضانه.

رحلة على ظهر تنّين

1- الطريق إلى الأهرامات.

اندهش يوسف عندما أحضر له أبوه كتابا، يتحدث عن قصص التنانين الخرافية.. وظل ساهرا مدة طويلة يقلب صفحاته ويشاهد صور التنانين الغريبة حتى غلبته عيناه فنام..



ورأى يوسف في ما يرى النائم كأنه أمام بحيرة عظيمة، وأصابه عطش شديد فتقدم من البحيرة ليشرب.. ولكن قبل أن يمد يديه إلى الماء، وقع على البحيرة ظل ضخم أظلم له المكان.. فرفع يوسف عينيه إلى السماء فرأى تنينا هائلا يحلق بجناحين ضخمين في الجو، وقد اهتزت لحركتهما كل الأشجار المحيطة بالبحيرة... فارتعب يوسف ارتعابا شديدا وتسمرت قدماه في الأرض، واحتار ماذا يفعل...غير أن التنين هدأ من روعه وقال له:

لا تخف أيها الفتى الطيب، فلن أوذيك.

فازداد تعجب الفتى يوسف... ولكنه بعد لحظات انحلت عقدة لسانه، فسأل التنين:

لقد قرأت عنك وسمعت كثيرا من حكاياتك الرهيبة، وكل من يذكرك يقول أنك حيوان مرعب، ومدمر ليس في قلبك شفقة ولا رحمة...

قذف التنين بشعلة من اللهب أرسلها من منخريه نحو السماء فأضاءت المكان كله... ثم قهقه ملء فمه وقال:

– غير صحيح.. غير صحيح.. كل ما قرأته أو سمعته عن قسوتي أو وحشيتي ما هو إلا مبالغة وتضخيم للواقع الحقيقي..

فقال يوسف غير مصدق:

أحقا ما تقول ؟ ألست كما يصفك الناس ؟

– كلا.. كلا. فأنا أحب و أكره، أدافع عن نفسي أصارع وأقاتل كما أصادق و أحمي بني جنسي والضعفاء من الحيوانات..

فقال الفتى باستغراب:

لا أكاد أصدق ما أسمع... أأنت لك أصدقاء وتدافع عن الآخـرين مـن ضعاف الحيوانات ؟

– نعم يا صديقي الطيب وإذا أردت ، عرفتك على أصدقائي الكـثيرين وهم موجودون في كل أنحاء الكـرة الأرضـية .. بـل وخـارج الكـرة الأرضية أيضا، على القمر والمريخ وفي كوكب الزهرة...

زادت دهشة يوسف أكثر... وقال متلعثما:

– هل ناديتني يا صديقي..؟ أيمكنني أن أكون صديقك حقا..؟

قال التنين بمرح:

أجل يمكنك أن تكون صديقي.. بل أنت صديقي منـذ الآن.. الآ تحـب الطبيعة ؟ ألا تحب الحيوانات ؟ ألا تحب السفر ... ومشاهدة عجائـب العالم وغرائبه؟

قال يوسف في فرحة عارمة:

– نعم.. نعم..

قال التنين:

إذا أنت صديقي... ويمكنك مشاركتي رحلاتـي وأسـفاري، وسـوف أعرفك على أروع وأعجب الأماكن في الدنيا...

قال يوسف:

– وكيف أسافر معك وأنت تنين لك أجنحة عظيمة تطير بها في الفضاء وأنا طفل صغير لا تقوى رجلاي على اللحاق بك ؟

قال التنين وهو ينزل إلى الأرض ويفرش أجنحته:

ما عليك يا صديقي سوى أن تركب ظهري وتتمسك جيدا، وسوف أنقلك حيث تشاء..

قال يوسف:

هذا يسعدني كثيرا يا صديقي ولكن أمهلني أولا أن أشرب من ماء هذه البحيرة، فأنا أشعر بعطش شديد لا أقوى على تحمله.

فقال التنين:

إياك أن تشرب فهذه البحيرة ملوثة بسموم كثيرة، تسببت بها النفايات الخطيرة التي يرميها فيها البشر، الذين أعماهم الطمع والجهل، فأفسدوا الطبيعة وأوشكوا أن يدمروا الحياة كلها بتصرفاتهم الحمقاء...

فقال يوسف:

وما العمل وأنا عطش جدا..؟

قال التنين:

هيا اصعد على ظهري وسوف آخذك في رحلة سريعة إلى أعذب مياه نهر في الدنيا، حتى تشرب وترتوي وتمتع بصرك برؤية أجمل نهر في العالم.

قال يوسف:

– هيا بنا.. وقفز فوق ظهر التنين وتمسك بأجنحته القوية.. ثم قال:

أخبرني أيها التنين الأخضر عن اسم هذا النهر الذي ستأخذني إليه..

قال التنين:

إنه يسمى نهر النيل... أغمض عينيك.

قال يوسف :

ولما أغمض عيني..؟

قال التنين:

- أغمض عينيك وحسب.

فأغمض يوسف عينيه... وبعد لحظات يسيرة قال التنين:

- افتح عينيك الآن وانظر ملء بصرك..

فغر يوسف فاه من العجب وقال:

إنه حقا أجمل منظر رأيته في حياتي... نهر يجري رقراقا، وعلى ضفتيه بساطان من الزرع الأخضر السندسي.. جنة رائعة في قلب صحراء هائلة.

فقال التنين:

- أجل لقد نطقت بالحق.. نهر النيل يشق الصحراء الكبرى من أرض مصر، منذ آلاف السنين ويصب مياهه العذبة في حضن البحر الأبيض المتوسط.

لقد عاش الآف البشر على ضفتي هذا النهر العظيم قرونا عديدة، ينعمون بخيراته ويتملون جماله الفتان..

ثم هبط التنين على إحدى ضفتي النهر وبسط جناحيه وقال ليوسف:

- اذهب الآن واشرب وارتو..

فانطلق يوسف مسرعا حتى وصل إلى مجرى النهر، فأخذ يغرف بكفيه ويشرب أعذب ماء نهر في الدنيا.

وعندما رفع رأسه استدار راجعا إلى صديقه التـنين، فـأحس برغبـة قوية في العودة مرة ثانية للشرب من ماء النيل.

فقال له التنين:

- حقا.. صدق من قال:

" كل من يشرب من النيل لابد أن يرجع إليه.. "

وفي تلك اللحظة وبينما كان يوسف يصب على رأسه غرفـة مـن مـاء النهر، لاح لبصره منظر آخر عجيب فسأل صديقه التنين باستغراب:

- وما هذه البنايات الضخمة أيها التنين ؟

قال التنين وهو يهز رأسه ببطء:

إنها الأهرامات يـا صـديقي.. هـذه أهرمـات الجيـزة بمصـر أشـهر أهرمات الأرض، ومن عجائب الدنيا السبع. قال يوسف:

- إنها ضخمة جدا.. ولكن من الذي بناها ؟ ولماذا..؟

قال التنين:

- هذه الأهرامات بنيت في زمن الفراعنة وهم ملـوك مصـر القـدامى، وكان من عادتهم أن يبني الملك قبل موته هرما ضخما يعده مدفنا لـه إذا مات، حتى إذا جاء أجله دفن داخله ووضعت معـه أحـب الأشـياء إليه من التي كان يستعملها في الـدنيا، مـن ألبسـة وأوانـي وجـواهر ومقتنيات كثيرة...

قال يوسف:

- ولكن قل لي أيها التنين... لماذا بنيت هذه الأهرامـات الثلاثـة بهـذا الحجم..؟

قال التنين:

– ماذا تقصد ؟

قال يوسف:

– أقصد أنها ليست متساوية.. فالأول أكبر من الثـاني والثـاني أكـبر من الثالث..لما لم تبن متساوية جميعا؟

قال التنين:

– هذه الأهرامات هي لثلاثة ملوك من ملوك الفراعنـة، يسـمى الأول "خوفو " ويسمى الثاني "خفرع " ويسمى الثالث "منقرع "...

عندما شعر "خوفو" بقرب أجله بنى الهرم الأول وأوصى أن يـدفن فيه بعد موته، ونفذ ابنه خفرع الوصية ودفنه داخل الهرم الذي بناه، وأصبح خفرع ملكا بعد أبيه ويسمى فرعونا كما هي عادة المصـريين القدامى وبقي خفرع يحكم مصر مدة من الـزمن، ولمـا شـعر بقـرب موته أمر ببناء هرم ليدفن فيه بعد موته، ولكنـه أوصـى المهندسـين بجعل الهرم أصغر من الهرم الذي دفن فيـه أبـوه، احترامـا وإجـلالا له...

فلما مات دفنه بداخله ابنه منقرع حسب وصيته... وأمر منقرع أيضا ببناء هرم ليدفن فيه هو الآخر بعد موته، وأوصى أيضا بـأن يجعـل أصغر من هرمي أبيه وجده احتراما وإجلالا لهما.. وبعد مدة قضـاها في حكم مصر جاءه أجله فدفن بالهرم الأصغر.

فقال يوسف متعجبا:

- إذن هذه هي قصة الأهرامات الثلاث.. إنـي متشـوق لرؤيتهـا عـن قرب، فهل ذلك ممكن أيها التنين الأخضر..؟

طأطأ التنين رأسه ثم قال:

إن ذلك صعبا.. صعبا للغاية، يمكنك رؤيتها عن قرب ولكـن الـدخول إليها فيه مجازفة كبرى...

فقال يوسف:

ولما أيها التنين الأخضر..؟

قال التنين:

- إنّ في جوف أحد الأهرامات الثلاث ثعبان أسود جبار.. ينقض علـى الداخل إليها فيهلكه، فإياك أن تغامر بحياتك..

فقال يوسف:

- كيف أخاف وأنا معك أيها الصديق العزيز...أنا في لهفـة وشـوق إلى اكتشاف سر هذه الأهرامات العجيبة.

فقال التنين: أنت فتى شجاع ولكن الخطر كبير فينبغي الحـذر وعـدم المخاطرة بالنفس..

قال يوسف:

- إن في المخاطرة لذة كـبرى وأحيانـا تكـون المخـاطرة هـي السـبيل الوحيد لاكتشاف الحقائق..

قال التنين: صدقت أيها الفتى الذكي.. إذا هيا بنـا ولنتوكـل علـى الله فلربما كان على أيدينا القضاء على الثعبان الأسود اللعين.

وبضربة واحدة من جناحي التنين الأخضر حط الاثنان أسفل الأهرامات الثلاث، وقفز يوسف عن ظهر التنين وأخذ ينظر إلى الأهرامات وطاف بها متعجبا من عظمة بنائها وروعته..

كان التنين الأخضر يراقبه بعينين حذرتين... وعندما رأى يوسف أنه قد شاهد الأهرامات كلها من جميع جهاتها ولم يبق له الآن سوى أن يدخل إلى أعماقها، ويشاهد مخبآتها عاد إلى صديقه التنين وقال:

– هيا يا صديقي أرني مدخل أول الأهرامات فأنا في لهفة لرؤية سر الفراعنة الأكبر..

قال التنين الأخضر:

– إنّ حجم جسمي الضخم لا يسمح لي بالدخول معك، ولكن اصعد فوق ظهري لأضعك فوق الهرم الأكبر، هرم "خوفو" فإن المدخل إليه من أعلاه..

وفي برهة وجيزة من الزمن كان يوسف على ظهر الهرم الأكبر.. هرم خوفو، ودله التنين الأخضر على فتحة ضيقة بين الصخور الضخمة وسأله مرة أخرى:

– هل أنت مصمم على الدخول يا صديقي..؟

قال يوسف:

– أجل أيها التنين الطيب.. ولا تخف فالله معي وسوف لن يتركني وحدي..

كان يوسف كلما تقدم داخل الهرم الأكبر وسار في دهاليزه الملتوية كلما قل الضوء وانتشر الظلام وأصبح لا يرى طريقه إلا بصعوبة

بالغة...وبعد جهد جهيد، وزحف منهك وصل إلى القاعة الكـبرى، أيـن يوجد مدفن الفرعون الأكبر "خوفو".. دار حول القبر الرخـامي، رأى على حجارته نقوشا ورسوما كثيرة لم يفهم معناها بالضـبط، لكنهـا تدل على حضارة كبيرة كانت في الماضي تملأ أرض مصر...

وبينما يوسف يحاول فتح القبر لينظر ما بداخله.. تمثلت لـه صـورة شيطانية مفزعة، رأس تمساح تنبعـث مـن عينيـه شـعل مـن اللـهب الأحمر.. فلم يتمالك يوسف نفسه أن قال:

- يا الله.. يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث...

فتلاشت الصورة مثل فقاعة الصابون...فقال يوسف:

حمدا لله ما هي إلا خيالات شيطانية ليرهبني بها عدو الله...

ثم عدل عن فكرة فتح القبر وعاد راجعا على أعقابه، مكتفيـا بمـا رآه من صور ونقوش غريبة... وكان دخول يوسف إلى الهرم الثاني هرم "خفرع" أسهل من الأول، لأنه اكتسب خبرة لا بأس بهـا في معرفـة دهاليز الأهرامات، وشاهد نقوشا وصورا تشبه الأولى.. أما في الهـرم الثالث والأخير فقد حدث له ما كان يحذره التنين منه ...فبينمـا أنهـى يوسف جولته داخل هرم منقـرع الفرعـون الأصـغر، ظهـر الثعبـان الأسود يقطع عليه طريق الخروج ، فدار يمنة ودار يسـرة فلـم يجـد مهربا .. وكان لابد أن من المواجهة..

لم يجد يوسف سـلاحا يقاتـل بـه إلا سـلاح "العقـل " فبـدأ يفكـر بسرعة.. قال في نفسه لابد أن أشاغله حتـى أجـد خلاصـا، فخاطـب الثعبان بشجاعة وجرأة:

أيها الثعبان الأسود.. لماذا تهاجم كل من يدخل هذه الأهرامات..؟ وما الذي تجنيه من تدمير البشر وإهلاكهم..؟

قهقه الثعبان ملء أشداقه فظهرت أنيابه الصفراء الحادة وقال:

- أنت فتى شجاع حقا.. فلم يسبق لأحد من الذين أهلكتهم قبلك أن سألني هذا السؤال، ولست مضطرا أن أجيبك ويمكنني الفتك بك بنهشة واحدة من أنيابي السامة.. ولكن لا بأس سأخبرك بالسر قبل أن أقتلك...

أنا حارس المدافن الفرعونية الأكبر.. وقد أمرني زعيم العفاريت " ذو القرون " أن لا أترك أحدا يخرج من الأهرامات حيا ، ومنذ ذلك اليوم وأنا أفتك بكل من يتجرأ على رؤية مدافن الفراعنة العظام ، ولقد قتلت عشرات الأغبياء والحمقى من البشر قبلك .. والآن جاء دورك هيا استعد..

فصرخ يوسف من أعماق قلبه :

- يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ... يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ..

وإذ بشواظ من النار يسقط على الثعبان الأسود فيحرقه ويحوله إلى رماد.. فنظر يوسف إلى أعلى مدخل الهرم فرأى صديقه التنين الأخضر وقد تتابعت من فمه النيران التي أحرقت الثعبان اللعين، فقال يوسف:

- شكرا لك يا صديقي.. شكرا لك يا صديقي، لقد أنقذتني للمرة الثانية..

قال التنين: قل الحمد لله الذي يقول للشيء كن فيكون..

فقال يوسف: الحمد لله... الحمد لله...

وعلى صدى هذه الكلمات العذبة استيقظ يوسف فوجد نفسه في دفء فراشه داخل غرفته.

رحلة على ظهر تنّين

2- على سطح القمر...

في هذه الليلة نام يوسف مبكرا وهو في شوق كبير لرؤية صديقه العجيب، التنين الأخضر... وما كاد يغرق في بحر الأحلام حتى رأى نفسه كأنه واقف على قمة جبل عال.. عال جدا، وفجأة زلقت قدمه فهوى إلى الأرض مثل صاروخ نفاث، فأخذ يصرخ بأعلى صوته:



- النجدة.. النجدة.. أنقذوني...

وقبل أن يقع يوسف على الأرض، أحس بطائر ضخم يرفعه إلى الأعلى يا للفرحة.. إنه صديقه التنين الأخضر.

قال يوسف:

– شكرا لك يا صديقي الوفي.. لقد جئت في الوقت المناسب لولا أنك أنقذتني لكنت الآن منسحقا على الأرض وقد فارقت روحي جسدي .

قال التنين والخجل يظهر على وجهه:

– الفضل لله أولا وأخيرا الذي يقول للشيء كن فيكون .. يا صديقي .

عند ذلك خطر في ذهن يوسف خاطر عجيب فسأل التنين:

لماذا يا صديقي يسقط الإنسان من أعلى إلى أسفل..؟ ولماذا لا يرتفع إلى الأعلى...؟ ولماذا لا يستطيع البشر الطيران في الجو بغير أجنحة، أو مركبات فضائية..؟

حرك التنين رأسه مبديا إعجابه بذكاء يوسف وفطنته:

– هذا سؤال جيد يدل على فطنتك وذكائك يا يوسف ..

قال يوسف :

– لقد أخجلتني .. إنك تبالغ كثيرا بوصفك لي بالذكاء والفطنة ..

فقال التنين:

– كلا فأنا لا أبالغ مطلقا.. إنما أقول الحقيقة.. فكم من البشر عاشوا على مدى قرون عديدة... ولم يتفكروا لحظة واحدة، لماذا يسقطون إلى الأسفل.. ولماذا لا يرتفعون إلى أعلى، وقلة قليلة فقط من نظر في هذا الأمر واكتشف أشياء مدهشة للغاية.

فقال يوسف:

وما هذه الأشياء المدهشة يا صديقي..؟

قال التنين:

– أنت الآن يا صديقي الصغير تريدني أن أكون معلمـا، لكـن لابـأس سأحاول أن أشرح لك الأمر بشكل بسيط..

لقد كان هناك رجل ذكي يحب أن يفكر ويتأمل الكون حوله، ولا يقـع حادث أمام عينيه إلا ويحاول فهم أسـبابه.. كـان اسـم هـذا الرجـل إسحاق نيوتن، وكان ذات يـوم جالسـا تحـت شـجرة، ويقـال أنهـا شجرة تفاح، فسقطت تفاحة على مقربة منه أو ربمـا علـى رأسـه لا أدري بالضبط، فقفز إلى ذهنه سؤال محير:

لماذا سقطت التفاحة إلى أسفل..؟

فصرخ يوسف بفرح:

إنه مثل سؤالي تماما...

قال التنين الأخضر: بالضبط... وهذا يعني أنك تفكر مثله أيضا أليس كذلك..؟

قال يوسف:

أتمنى أن أفكر مثله... ثم ماذا حصل بعد ذلك ؟

أجاب التنين : لقد حدث أمر غير حياة الإنسان بكاملها .. لقد اكتشـف نيوتن أن هناك قوة في الأرض تسمى الجاذبية، هي التي تشد الأشياء إليها ولا تتركها ترتفع في الفضاء فإذا حـاول أحـد الارتفـاع سـقط.. ومن ثم بدأ الناس يفكـرون في مقاومـة هـذه الجاذبيـة والطـيران في الجوّ.. وبعد سنوات طويلة تمكـن الإنسـان مـن صـنع الطـائرة ثـم المركبة الفضائية بعد ذلك.

قال يوسف:

- إذن لا يمكـن للإنسـان أن يطـير إلا إذا ركـب طـائرة أو مركبـة فضائية..؟

قال التنين:

- أجل لا يمكنه أن يطير بجسمه وحده... إلا إذا...

وسكت التنين برهة يتأمل... فقال يوسف بلهفة:

- إلا إذا.. ماذا..؟

قال التنين وهو يبتسم:

- إلا إذا صعد إلى سطح القمر..

فقال يوسف: وهل ذلك ممكن.. ؟

قال التنين الأخضر: هو ممكن جدا... لكن هناك مشكلة واحـدة فقـط إذا حلها الإنسان تمكن من الذهاب إلى القمر في أية لحظة.

فسأله يوسف بشغف: وما هي تلك المشكلة يا صديقي..؟

قال التنين: إن الإنسـان لا يسـتطيع أن يحيـا بـدون أكسـجين.. ولا يوجد الأكسجين في القمر..

قال يوسف: وما هو الحل إذا أيها الصديق العزيز ؟

قال التنين: أتحب أن تصعد إلى القمر..؟

قال يوسف بشوق: أجل.. أجل، ومن لا يحب الصعود إلى القمر..؟

قال التنين الأخضر: ما عليك سوى أن ترتدي قناع الخيال..

قال يوسف: ماذا..؟ قناع الخيال ؟ وأين أجد قناع الخيال..؟

قال التنين:

- أغمض عينيك..

فضحك يوسف من أعماق قلبه وقال: أغمض عيني مرة أخرى..؟
قال التنين وهو يبتسم : أجل أغمض عينيك مرة أخرى .
وأغمض يوسف عينيه .. ثم طلب منه التنين أن يفتحهما ففتحهما فرأى قناعا مزركشا عجيبا، فيه عشرات من الألوان الغريبة المدهشة.. فقال التنين :
ارتدي هذا القناع وسوف تصحبني في رحلة شيقة إلى الفضاء، حيث نتجول على سطح القمر وأعرفك هناك على أصدقائي القمريين..
قال يوسف: ماذا قلت.. تعرفني على القمريين..؟
قال التنين وهو يبتسم:
- نعم القمريون... ارتدي القناع وحسب ثم سوف ترى العجب..
ارتدى يوسف قناع الخيال وامتطى ظهر التنين، فانطلق به مثل السحاب نحو الفضاء الكبير...
كان القمر في تلك اللحظة بدرا كاملا، يسحر العيون بمنظره البديع وضوئه المتوهج.. ولم يصدق يوسف عينيه عندما رأى القمر يقترب منه مثل كرة فضية ضخمة... إن سرعة التنين مدهشة للغاية، فلم تمض بضع لحظات حتى حط على سطح القمر، وقال لصديقه:
- هيا يا يوسف طر الآن حيث شئت، فإنك الآن مثل عصفور صغير، يلهو في الفضاء الرحب..
قال يوسف وهو يرفع نفسه عن ظهر التنين فيرتفع تلقائيا في الجو ويقفز إلى سطح القمر، ثم يرتفع وينزل بشكل بطيء دون أن يتأذى أو يتألم، كأنه تحول إلى صورة بطيئة في فيلم تلفزيوني:

– يا للفرحة إنّني أطير.. أطير بغير أجنحة ولا ريـش، إنّـني أطـير يـا سلام... يا سلام... ثم التفت إلى التنين الأخضر قائلا:

لكن قل لي أيها التنين الأخضر :

– كيف حدث هذا..؟ لـماذا نطـير فـوق سـطح القمـر ولا نطـير فـوق الأرض ؟

أجاب التنين وهو يبتسم :

– لقـد أخبرتـك مـن قبـل أن في الأرض جاذبيـة قويـة تشـد النـاس والأشياء إليها .. أما في القمر فـإن الجاذبيـة ضـعيفة جـدا ، فهـي 6 مرات أقل من جاذبية الأرض ، ولذلك أنـت الآن تحلـق فـوق سـطح القمر وتنزل عليـه بـبطء شـديد ، مثلمـا يرتفـع ويـنخفض البـالون المنفوخ ..

ثم التفت التنين الأخضر خلفه وقال :

– مرحبا بأصدقائي القمريين ... ها أنا ذا جئتكم كمـا تـرون فأنـا لا أطيل الغياب عنكم ...

تعجب يوسف مما يسمع فهو لم ير أحدا ، فسأل التنين باستغراب :

– أين هم أصدقاؤك الذين تتحدث عنهم ..فأنا لا أرى أحدا ؟

فقال التنين : هم غير مرئيين ولكن إذا حركت قناع الخيال إلى الأعلـى قليلا سوف تراهم ..فإن قناع الخيال يزودك بالهواء الـلازم لتنفسـك على سطح القمر ويزودك أيضا بالقدرة على رؤية وسماع القمـريين غير المرئيين .

ومد يوسف يده إلى قناع الخيال وحركه إلى أعلى فرأى منظرا عجبا :

ثلاث كرات تشبه اليقطين لكل منها ذراع واحدة وبلا أرجل أو رأس ، وتحيط بها أشعة خضراء تتغير إلى الأزرق ثم الأحمر ثم تعاود الكرة كأنها أضواء عروض السرك الزاهية .

قال يوسف : أهؤلاء هم القمريون ...؟

فسمع صوتا جماعيا واحدا يجيبه في نغمة موسيقية بديعة :

– نحن القمريين .. طيبين ومرحين .. نحب المرح والسلام ونهوى الضياء ، نكره الظلام والأشقياء ، مرحبا بك عندنا يا صديقنا يوسف الطيب .

قال يوسف : إنكم مرحون فعلا .. يسرني أن أكون صديقكم ، ولكن قولوا لي لماذا أتتم مخفيون ولا ترون إلا بقناع الخيال ..؟

وفي هذه اللحظة هبت زوبعة من الأعاصير السوداء مختلطة بأصوات رعود مزمجرة ... فارتعب يوسف من الخوف وقفز بكل ما يملك من قوة ليحتمي بجسم التنين الأخضر ، لكن الزوبعة رفعته إلى أعلى وفي لمح البصر وجد نفسه وحيدا في الفضاء الواسع الرهيب .

بقي يوسف فترة من الزمن لا يدري ما يصنع، لكن الزوبعة استمرت في دفعه إلى المجهول.. فانتبه إلى نفسه ونظر حوله فلم يعثر على شيء يتمسك به .. فنادى في الظلمات :

– يا مغيث أغثني ... يا مغيث أغثني ..

وبزغت الشمس متلألئة في قلب الظلمة الداكنة مثل جوهرة حمراء ، فتلاشت الزوبعة المريعة من حوله وغابت في الفضاء الكبير .. وأحس

يوسف بشيء من الراحة خصوصا أنه ما يزال يرتدي قناع الخيال العجيب .

نظر يوسف إلى القمر فوجده قد ابتعد عنه مسافة هائلة ومن الصعب أن يرجع إليه بمفرده.. فبدأ ينظر إلى الكون البديع الواسع من حوله ، ويتأمل عظمة صنع الخالق وإبداعه... كانت الأرض تظهر له كرة زرقاء ضخمة تحيط بها المهابة والجلال .. فقال بأعلى صوته :

– يا الله ما أروع ما صنعت يداك ... إن هذا الكون كله يشهد بأنك واحد أحد .. بديع السماوات والأرض .

ثم تساءل يوسف: ترى أين أنت يا صديقي التنين..؟ أنا في أشد الحاجة إليك..

فسمع صوتا يناديه:

– يوسف.. الحمد لله على سلامتك لقد ظننت أن زوبعة العفاريت الأشقياء قد قضت عليك.

فقال يوسف: وهل كانت تلك زوبعة العفاريت..؟

قال التنين: نعم إنها زوبعة العفاريت القمرية، وهي تسكن الجهة المظلمة من القمر.. فإذا أحست بأن أحدا اقترب من حدودها، أرسلت له زوابعها لتقذف به نحو الفضاء المجهول فيهلك هناك... ولذلك فإن أصدقاءنا القمريين غير مرئيين حتى لا تراهم عفاريت الجهة المظلمة من القمر، وهم من أنقذني وجعلني غير مرئي حتى مرت الزوبعة، أما أنت فلم يستطيعوا جعلك غير مرئي لأنك مخلوق من طين الأرض، وقوتهم الإخفائية لا تؤثر في طين الأرض.. فاحمد الله على النجاة.

قال يوسف: لله الحمد أولا وأخيرا...

كان مـن عـادة الشـمس في الفضـاء الخـارجي أن تظهـر و تختفـي بسرعة، عدة مرات خلال ساعات قليلة بتوقيت الأرض.. ولـذلك قـال التنين الأخضر:



- علينا بالعودة حالا إلى الأرض يا صديقي قبل أن تختفـي الشـمس فيظهر حزام الأشرار المغناطيسي.. ولـن ننجـو حينئـذ مـن قبضـته بسهولة..

فقال يوسف:

- وما قصة هذا الحزام يا صديقي..؟ فلقد عودتني أن تطلعـني علـى سر كل الغرائب التي تصادفنا قبل أن تنتهي رحلتنا.

فقال التنين: يبدو أنك ستشاهد ذلـك بنفسـك، فقـد اختفـت الشـمس الآن.. وليس في وسعنا إلا الصبر والاستعانة بالله الواحد الأحد.. هيـا اركب ظهري وثبت قناع الخيال على وجهك جيدا..

ومن عالم المجهول ظهر حزام أفعواني يتلوى وسط الظلام الكبير، وتصدر عنه أصوات غريبة مزعجة

وبدأ يزحف نحوهما.. فقال التنين:

– يوسف إياك أن تفقد ثقتك بالله وقل: – لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا..

فقال يوسف من أعماق قلبه:

– لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا ..

والتف الحزام حولهما وأخذ يضغط عليهما بقوة رهيبة، وظهرت عند رأسه سيوف قاطعة تشع منها نيران ملتهبة.. تدنو من رأسيهما شيئا فشيئا..

ولّما أحس يوسف بالهلاك أغمض عينيه، وفجأة سمع دويا ضخما، ففتحهما، فرأى الحزام المغناطيسي يبتعد عنهما ويتفتت في الفضاء قطعا قطعا.. فقال لصديقه:

– ما الذي حدث أيها التنين الأخضر..؟

فأجابه هذا وهو يمسح دمعة نارية جرت على خده:

– إنه أحد القمريين افتدانا بنفسه، وفجر جسده في الحزام المغناطيسي يا صديقي..

فقال يوسف:

– يا له من صديق مخلص ووفي فليرحمه الله ...

وفي هذه اللحظة فتح يوسف عينيه فوجد نفسه يكاد يسقط عن سريره، وكتاب غرائب التنانين عند رأسه على الوسادة.

رحلة على ظهر تنـين

3 – حدائق الهقار السحرية..

في ليلة من ليالي الصيف شديدة الحرارة، لم يستطع يوسف النوم إلا بصعوبة، فقد غرق في بحـر مـن العـرق المقـرف .. وأزعجه البعوض العنيد الذي احتل غرفته؛ فنام وهو يتمنـى لو أنه كان يعيش في مكان هادىء ومريح تحف به الأشـجار والأزهار من كل مكان.. ولا يوجد به بعوض أو ذباب.

وفي اللحظة التي أسلم فيها جسمه لنـوم ثقيـل بسـبب تعـب السـهر ومقاتلة البعوض، رأى نفسه في مـا يـرى النـائم؛ كأنـه تائـه وسـط الصحراء الكبرى...لقد أحاطت به الرمال من كـل جهـة، واشـتد حـر الشمس فأحس بعطش شديد فنظر من حولـه فلـم يـر إلا السـراب.. وكثبانا رملية متشابهة...

احتار ماذا يفعل و لم يعرف حتى أي طريق يسـلك وممـا زاد الطـين بلة هبوب عاصفة رملية حمراء أظلم بسببها المكان.. وسمـع يوسـف كأن بداخل العاصفة أصواتا مخيفة تقترب منه...

وانفجرت نيران متأججة في كل مكـان وراحـت تزحـف وتحاصـره.. فأصابه الفزع وسيطر عليه الخوف وكاد يسقط مغشيا عليه؛ لولا أن ضـربة من جناح التنين الأخضـر أطفـأت الـنيران ودفعـت العاصـفة بعيدا عنه في اللحظة المناسبة فصرخ يوسف:

– صديقي الغالي التنين الأخضر.. مرحا.. مرحا..

قال التنين الأخضر:

– كيف حالك يا صديقي الصغير..؟ لقد نجوت من عاصفة " حدرد " الشرير.

قال يوسف: ومن "حدرد " هذا..؟

قال التنين الأخضر:

إنّه من أشقياء عفاريت الصحراء ولا ينجو من قبضته إلا من كان قوي الإيمان معتصما بالله... و" حدرد " يكره البشر ولا يحب أن يرى أحدا منهم في الصحراء الكبرى التي يعتبرها مملكته الخاصة.

قال يوسف مستغربا: – ولكن كيف استطعت أنت هزمه ؟

قال التنين:

– إن العفريت "حدرد" يخاف خوفا شديدا من اللون الأخضر فإذا ما رآه تلاشت قوته وغاص تحت الأرض إلى أن يجد فرصة أخرى للتخريب والإفساد.. وهو الذي قام بإخفاء حدائق الهقار السحرية تحت الأرض حتى لا يراها ولا تعيق أعماله التخريبية.

قال يوسف باستغراب:

– حدائق سحرية... وفي الهقار..؟ تلك الجبال الجرداء القاحلة.. هذا أمر عجيب حقا، فما هي قصة هذه الحدائق السحرية ؟ و كيف تمكن العفريت "حدرد " من إخفائها وهو لا يستطيع رؤية اللون الأخضر..؟

قال التنين وقد ظهر على وجهه حزن عميق:

– إن هذه الحدائق كانت تحيط بجبل الهقار كأنها جنـة علـى الأرض، وفيها من الأشجار الخضـراء والطيـور الجميلـة والفراشـات زاهيـة الألوان و الزهور عطرة الرائحة ما لا يعد و لا يحصى، ويجري فيهـا الماء عذبا رقراقا، يمرح فيها الأطفال ويلعبون بمرح وبهجـة... إلى أن جاء اليوم الذي مر فيه العفريت "حـدرد " الشـرير بهـذه الحـدائق الساحرة، فلما رآها عمي بصره، فانطلق يصـرخ مـن الألم والحـزن ولجأ إلى زعيم العفاريت الحمر؛ وطلب منه النجدة..

والعفاريت الحمـر متخصصـون في محاربـة بـني البشـر وإهلاكهـم فأرسل معه زعيم العفاريت "ديمونة الشمطاء" فرمت بخصلات من شعرها الأشيب الشيطاني على الحدائق البديعـة فسـحرتها ودفنتهـا تحت الأرض، فلم يعد يراها بشر ولا طير ولا حيوان..وأصـبح جبـل الهقار منطقة جرداء لا ماء فيها ولا شجر،لا طير هناك ولا زهر..

ولقد هاجر كل الأطفال والناس الذين كانوا ينعمون بخيرات الحـدائق البديعة.. وصار المكان كله كأنه أرض خربة قد دمرها طوفان عظيم.

ومما زاد في حزني وألمي؛ أنه كان لي أصـدقاء أعـزاء بهـذه الحـدائق فاختفوا الآن ولم أعثرلهـم علـى أثـر.. وأنـا في أشـد الشـوق إلـيهم خصوصا صديقتي " تينهنان " ذات الضفائر العنبرية.

قال يوسف مستفهما:

– ذات الضفائر العنبرية...؟ ومن تكون..؟

قال التنين: – إنها ابنة ملك الهقار المعظم وهي فتاة لطيفة، وذكية جدا تحب الفراشات والزهور وتعطف على الحيوانات وترعاها بكل صدق ومحبة.

قال يوسف:

– والله يا صديقي لقد شوقتني لرؤية هذه الحدائق.

قال التنين بحزن:

– أتمنى أن أحقق لك رغبتك ولكن دون ذلك مخاطر وأهوال لا يقوى على مواجهتها إنسان.

قال يوسف:

– كيف تقول ذلك وأنت من علمني حب المغامرة والاستكشاف، إنه لاشيء يمنع الإنسان الذي منحه الله نعمة العقل؛ أعظم جوهرة في الوجود.. لا شيء يمنعه من البحث والاستكشاف.

قال التنين: صدقت يا صديقي الصغير.. فاستعد إذا لرحلة صعبة وشاقة نحو قمة " تهات أتاكور" حيث تختفي حدائق الهقار السحرية.

قال يوسف :

– ما هذه الأسماء الغريبة أيها التنين الأخضر..؟

أجاب التنين الأخضر:

– " تاهات أتاكور" اسم أعلى قمة جبلية في الجزائر و يبلغ ارتفاعها حوالي 3000 م، وهذه الأسماء التي تبدو لك غريبة هي أسماء بني قومك وأهلك من الطوارق الأماجد.

قال يوسف:

- إن في بلادنا من العجائب والغرائب الشـيء الكـثير، الـذي لابـد أن أتعرف عليه وأكتشفه.. ولتكن البداية من هنا، من جبل الهقار.. هيا يا صديقي لقد زاد شوقي للمغامرة والسفر.

قال التنين وهو يبتسم:

- اركب ظهري وأغمض عينيك..

رد يوسف وهو يبتسم أيضا:

- أغمض عيني مرة أخرى..؟

عندما اقترب التنين من جبل الهقار ؛ طلـب مـن صـديقه يوسـف أن يفتح عينيه، فلما فعل.. رأى منظرا مهيبا...

الهقار عبارة عن كتل صخرية عظيمة؛ ترقد متربعة وسـط الصـحراء الكبرى كأنها سفينة في بحر عظيم لا يعلم أحد مـن أيـن يبـدأ ولا إلى أين ينتهي.. وتبدو من بعيد أعلى قمة فيه، قمـة " تاهـات أتـاكور " كأنها أصبع السبابة؛ يشهد لله المبدع الخلاق بالتفرد والوحدانية..

حط التنين عند سفح الجبل وطلب مـن يوسـف أن يسـتعد لمواجهـة الأخطار... قال يوسف متسائلا:

- من أين سندخل الحدائق السحرية..؟ هل سنصعد إلى قمة الجبل أم أننا سنلتف حوله..؟

أجاب التنين الأخضر:

- سندخل من الكوخ يا صديقي الصغير.

قال يوسف:

– الكوخ..؟ أي كوخ لا أرى أي كوخ..؟

مدّ التنين جناحه وأزاح به صخرة صغيرة، فظهر الكوخ خلفها وقال: تفضل يا يوسف أدخل.

ودخل يوسف وخلفه التنين فرأى غرفة صغيرة مليئة بالكتب القديمة، ورأى في الجهة اليمنى منها شيخا كبيرا ذا لحية بيضاء. كان الشيخ ينظر إليهما مبتسما ثم بسط كفه مشيرا بها وقال:

أهلا بكما تفضلا، أنا سعيد بزيارتكما؛ ثم قال للتنين الأخضر: كيف حالك يا صديقي القديم..؟

قال التنين الأخضر:

– الحمد لله فأنا كما عهدتني دائم السفر والتجوال.. وأنت كيف حالك يا حكيم الجبل أما زلت تحرس المكان، وتنتظر اليوم الذي تعود فيه الحدائق الخضراء إلى سابق عهدها ؟

قال حكيم الجبل:

أجل ما زلت هنا كما ترى وأنا أشعر أن موعد رجوع مملكة الحدائق السحرية إلى ما كانت عليه

قد أوشك..

قال يوسف :

– ألا تخاف من "حدرد " الشرير؟

قال حكيم الجبل: – "حدرد" لا يمكنه الاقتراب من مصابيح النور (وأشار إلى رفوف الكتب التي صفت على جدران غرفة كوخه البسيط).

قال التنين الأخضر:

- كم نود أن يطول جلوسنا معك يا حكيم الجبل، ولكن نحن في عجلة مـن أمرنـا فأنـا و صـديقي يوسـف نريـد أن نـدخل إلى الحـدائق السحرية؛ فربما وجدنا الوسيلة التي تمكننا من إزالة سحر "ديمونة الشمطاء".

قال حكيم الجبل: ذلك يسـرني كـثيرا ولـن تكونـا وحـدكما في هـذه المعركة الصعبة.. هيا بنا لنتوكل على الله.

ورفع بساطا كان موضوعا على الأرضية، فظهر باب خشـبي ظخـم قام بإزاحته جانبا مستعينا بأجنحة التنين القوية، ثم أخـذ يهـبط إلى أسفل بواسطة سلم خشـبي، ويوسـف والتـنين الأخضـر يتبعانـه... وبعد سير طويل داخل سرداب مظلم؛ ظهـرت فجـأة أنـوار لامعـة.. إنها الحدائق السحرية المدفونة تحت قمـة" تهـات أتـاكور" فصـرخ يوسف من أعماق قلبه:

- يـا للروعـة والجمـال إنهـا جنـة الله في الأرض، أشـجار شـديدة الخضرة ومياه لؤلؤية دافقة وأزهار ذات عـبير مـدهش...لا ينقصـها سوى العصافير والفراشات، خسارة أن تطمر هذه الحـدائق البديعـة تحت الأرض..

قال التنين الأخضر:

- إني عندما أرى هذه الحدائق أتذكر صديقتي ذات الضفائر العنبرية " تينهنان " .. ترى أين تكون الآن ؟

قال حكيم الجبل :

– تعالا معي سوف أريكما مفاجأة سارة.

وقادهما في طريق ضيق يحفه صفان من الزهور الحمراء والبيضاء، حتى وصلا إلى خميلة ملتفة الأغصان فأزاح بعضها؛ فظهرت خلفها أريكة ذهبية تجلس عليها فتاة رائعة الجمال، مطأطئة رأسها في حزن شديد..

صرخ التنين الأخضر بفرح:

– ذات الضفائر العنبرية... (تينهنان) ...؟

وعندما سمعت(تينهنان) صوته رفعت رأسها وقالت:

– صديقي التنين الأخضر.. مرحبا..

ولكن الحزن لم يفارق ملامح وجهها، وضلت عابسة كئيبة..

قال التنين الأخضر:

– ولكن متى رجعت يا (تينهنان) وما الذي حدث..؟

قالت" تينهنان" والدموع تترقرق في عينيها:

– لقد هاجرت مع أبي وأمي وشعب مملكتنا بعدما قام العفريت " حدرد " وبمساعدة" ديمونة " الشمطاء بسحر حدائق الهقار البديعة وطمرها تحت جبل " تاهات أتاكور"، وطفنا في أرض الله الواسعة واستضافتنا بلدان وشعوب عديدة.. ولكن لا غنى لأي شعب أو أمة عن أرضها الأصلية ووطنها الأول، وضاقت الأرض في وجوهنا بما رحبت، وتفرقنا أشتاتا وأصاب الحزن الشديد أبوي فماتا في إحدى رحلات تشردنا؛ الواحد بعد الآخر، وفي النهاية وبعد عشر سنوات من الضياع والتيه قررت أن أعود إلى مملكتي ووطني

الأصلي، وأن أعيش فيه بقية أيام حياتي حتى ولو كان أرضا جـرداء قاحلة لا نبات فيها ولا شـجر، لا مـاء ولا ثمـر.. وبمسـاعدة بعـض الأصدقاء عدت إلى هنا وقد صادفت حكيم الجبل فدلني علـى المـدخل السري للحدائق السحرية، فدخلت إليها، وهاأنذا أحيا على أمل واحـد فقط، وهو أن يعود شعبي إلى جنته المفقودة بعد أن يفك عنها السـحر وتظهر إلى ضوء الشمس من جديد..

ساد الجميع حزن شامل للحظات ثم نطق يوسف أخيرا:

– هوّني عليك أيتها الأميرة الصغيرة، سوف يشرق الفجر مـن جديـد ويعود الحق لأهله ويزول السحر بفضل الله تعالى.

قال حكيم الجبل: صدق الفتى يوسف لقد قرأت في كتـب الحكمـة أن سحر " ديمونة الشمطاء " لا يقدر على إزالته إلا شاب قوي الإيمان لا يهاب المخاطر، يرفع مشعل الحديد بقوة ويحرق به خصلات شعر الشمطاء اللعينة.. فيزول كل شـيء.قـال يوسـف بحمـاس أنـا علـى استعداد لأن أحرق خصلات شعر ديمونة " الشريرة ".. ولكن أيـن يمكن أن نجدها يا ترى ؟

قال حكيم الجبل: إن مكانها معروف فهي تسكن في جبل النـار قـرب بحيرة السموم ولكن لا أحـد يسـتطيع الاقـتراب منهـا.. فهـي دائمـا متيقظة ومنتبهة ولا تنام إلا ساعة واحدة في الليل و ساعة أخـرى في النهار.

قال التنين الأخضر: إذا الحل الوحيد أن نستغل فرصة نومها ونحرق خصلات شعرها قبل أن تستيقظ.

قال حكيم الجبل:

- إنّ ساعة واحدة وقت ضيق جدا وإذا لم نسرع سوف تقضي علينا جميعا..

قال يوسف: ما هي الساعة التي تنام فيها..؟

قال حكيم الجبل: في منتصف الليل... وفي منتصف النهار.

نهضت " تينهنان " فجأة وقالت:

- سأكون معك يا يوسف.. و سأنتقم من " ديمونة الشمطاء" التي دفنت وطني تحت الأرض وشردت شعبي في الصحراء القاحلة..

ونهضوا جميعا مصممين على خوض هذه المعركة الحاسمة مع قوى الشر المفسدة والتصدي للعفاريت الحمر الحاقدين على بني البشر.

وطاروا جميعا على ظهر التنين حتى اقتربوا من جبل النار ونزلوا في واد يسمى وادي "الموت".

قال حكيم الجبل:

هذا واد خطير ولكنه المكان الوحيد القريب من جبل النار، ولا تستطيع رؤيتنا في" ديمونة " وسنبقى هنا إلى منتصف النهار.

وفجأة اهتزت الأرض من تحتهم فأحسوا كأنهم فوق بركان يريد أن ينفجر، فصرخ حكيم الجبل:

- أسرعوا بالهرب لقد وقفنا فوق مرقد الشرير "حدرد".

ولكن "حدرد" لم يتركلهم فرصة، فاندفع من باطن الأرض وهو يصرخ ويدمدم:

– أيها الحمقى المغفلين كيف تجرأتم على الدخول إلى وادي الموت إنـه مملكتي الخاصة وقلعتي الحصينة التي لا يدخلها مخلـوق إلا هلـك..
ثم نظر إلى التنين الأخضر وقال في فزع :
– أيها التنين اللعـين.. لمـاذا جئـت معهـم لا أريـد رؤيتـك.. إن لونـك أخضر، يا ويلي سيعمى بصري مرة أخرى بعد أن أعاده لـي زعـيم العفاريت الحمر.. ابتعد، ابتعد أيها اللعين..
وهنا قال حكيم الجبل:
– هذه فرصتنا أيها التنين الأخضر إنـه لا يقـوى علـى النظـر إليـك، فاقض عليه.. ولنتخلص منه إلى الأبد.
وفي اللحظة نفسها انبعثت شهب من اللهب الحارقـة مـن فـم التـنين الغاضب وهو يقول:
– باسم الله القوي القهار، أدمرك أيها الشرير الغدار..
وفي لمح البصر تحول "حدرد " إلى كومة من رماد... وتنفس الجميـع الصعداء..
وقالت " تينهنان ":
– الحمد لله لقد انتقمنا من " حدرد " الشرير الذي دمر مملكـة أبـي وشرد شعبي لم يبق لنا سوى "ديمونة الشمطاء".
وعند منتصف النهار تمامـا، ركـب يوسـف و" تينهنـان " وحكـيم الجبل على ظهر التنين الأخضر وانطلقوا نحو الجبـل الأسـود حيـث ترقد " ديمونة الشمطاء" قرب بحيرة السموم... و ما هي إلا لحظات حتى رأى يوسف البحيرة فقال متعجبا:

– ما هذه الخيوط البيضاء الطويلة التي تنحدر من الجبل وتغوص في بحيرة السموم..؟

قال حكيم الجبل:

– هذه هي خصلات شعر " ديمونة الشمطاء" إنها عندما تنام ترسل بها من أعلى الجبل إلى مياه البحيرة لتملأها بالسموم المهلكة وهي أقوى سلاح عندما تستعمله للتخريب والإفساد.

قال التنين الأخضر:

– وأين نجد مشعل الحديد لنحرق به هذا الشعر الشيطاني ؟

قال حكيم الجبل:

– إنه في قعر البحيرة... وعليك أنت يا يوسف أن تغوص و تخرجه لكن إياك أن تفتح فمك فينسرب ماء البحيرة إلى جوفك فتهلك...

واندفع يوسف بقوة وغاص داخل البحيرة وبقي هناك مدة طويلة، حتى خشي عليه الجميع أن يكون قد غرق في مياه البحيرة ومات، ومضى بعض الوقت وبدأ شعر " ديمونة الشمطاء" يهتز.

فقالت " تينهان ": يكاد الوقت ينفد، وستستيقظ " الشريرة ديمونة " يا إلهي.. أتمنى أن يخرج يوسف الآن...

ولم تنه كلامها حتى خرج يوسف من تحت البحيرة وهو يقول:

ها هو ذا المشعل لقد وجدته...

فقال حكيم الجبل:

– أوقد فيه النار أيها التنين...

فأوقد التنين النار في المشعل فتأججت بقوة.. و أخذه يوسف و وضعه على خصلات شعر " ديمونة الشمطاء"، فالتهبت فيه النيران.. واستيقضت " الشمطاء ديمونة " وهي تصرخ:

– الويل لكم أيها الحمقى، الويل لكم.. ولكن صراخها لم يفدها شيئا، فقد امتدت النار إلى جسدها كله وتحولت إلى رماد، سقط في بحيرة السموم.

وفرح الجميع فرحا عظيما وركبوا ظهر التنين الأخضر و عادوا إلى جبل الهقار ليروا ماذا حدث بعد إحراق شعر " ديمونة "ومقتلها.

وكانت المفاجأة العظيمة، لقد عادت الحدائق الساحرة إلى سابق عهدها، إنّها جنة في الأرض بحق.

رحلة على ظهر تنّين 4

معركة في بيت المقدس

في منتصف الليل عندما هدأت الأصوات وسكنت الحركة ، شعر يوسف بأرق شديد ، وهجر النّوم عينيه.. وتقلّب على السّرير مرارا فلم يستطع أن ينام ، فمدّ يده إلى القابس وأشعل ضوء الغرفة...وأخذ كتاب (عالم التنانين العجيبة) الذي أهداه له أبوه من قبل ..

حاول أن يتسلّى بقراءة بضع صفحات من الكتاب لعلّه يسترخي ويستسلم لعوالم الأحلام البهيّة... وما إن فتح الكتاب حتى تمثلت له صورة صديقه التنين الأخضر ، وبدا له كأنّه يناديه:

- يوسف هيّا ..أنا في انتظارك..انظر إلى حديقة بيتكم..

نهض يوسف متثاقلا يظنّ أنّ الأوهام قد أحاطت برأسه، وجعلته يخلط بين الحقيقة والواقع...وعندما وصل إلى النّافذة وأطلّ منها، طار فرحا ..وكاد يقفز إلى أسفل الحديقة، ثمّ صرخ:

- مرحى..مرحى..هذا أنت أيّها الصديق العزيز التنين الأخضر..

قال التنين الأخضر (وفي وجهه حزن عميق):

- هيّا يا يوسف ..هيّا بنا سنبدأ اليوم رحلة صعبة وشاقة ، فهل أنت مستعدّ لذلك ..؟

قال يوسف باستغراب:

- وما لك يبدو عليك الحزن والأسى يا صديقي إنّ في السّفر والرحلات متعة، ورياضة جميلة..فلم الحزن .؟

قال التنين الأخضر:

- هذا صحيح يا صديقي الصّغير..ولكن رحلة اليوم ليست مثل رحلاتنا السابقة إنّها رحلة إلى أرض عزيزة ..وتربة مقدّسة فيها رائحة الأنبياء..وعطر الوحي الزكيّ..

قال يوسف:

- أيّة أرض تقصد ...؟

أجاب التنين الأخضر:

- رحلتنا الليلة إلى بيت المقدس ..أرض الإسراء والمعراج ، حيث فيه قبّة الصخرة، وحائط البراق.

قال يوسف وقد ظهر عليه هو أيضا الحزن والكدر:

- أجل ..أجل يا صديقي حقّ لك أن تحزن ..فأنا أيضا لم أستطع النّوم هذه اللّيلة بسبب ما رأيته على شاشة الرّائي[1]

---

[1] - الرائي : التلفزيون.

من مشاهد القتل..والتعذيب والتدمير التي يقوم بها اليهود الصهاينة في فلسطين..كأنّ نارا قد صبّت عليهم من السماء صبّا..

قال التنّين الأخضر:

- إنّ العرب تقول في أمثالها: (ليس من رأى كمن سمع) ، هيّا اركب ظهري وسوف ترى وتشهد بعينيك ما لاتصدّقه عين أو تسمع به أذن من جرائم البشر...

وركب يوسف على ظهر التنّين ، وفي لمح البصر حطّ به فوق حائط البراق الشهير..

فتح يوسف عينيه ونظر في دهشة فرأى منظرا مقززا ...مجموعة من اليهود يقفون أسفل حائط البراق يخفضون رؤوسهم ويضعونها ويتباكون في شكل تمثيلي مقرف..

وما إن رأى اليهود يوسف والتنّين حتى تفرّقوا هاربين في كلّ اتجاه ، وهم يصرخون:

- يا للهول ...يا للهول... !

قال يوسف للتنّين:

- أهؤلاء الذين سلبوا أرضنا وقتلوا أهلنا ، ويسعون إلى تخريب قدسنا...؟ مالهم يفرّون مثل قطعان الماعز الشاردة...

قال التنّين الأخضر:

- يا صديقي إنّهم أجبن خلق الله في الأرض ...غير أنّ المسلمين متخاذلين وإلا فإنّهم لا يثبتون في معركة ..ولا يستطيعون إلا الخداع والمكر..

ولم تمض لحظات حتى رأى يوسف طائرات (الأباتشي) تحوط المكان وتوجّه نيران رشاشاتها نحوهما ..فأحسّ بالرّعب والفزع ونادى صديقه التنّين الأخضر:

- يا صديقي لقد أحاطت بنا طائرات الصّهاينة ...فأين المفرّ ؟

ظهرت على وجه التنّين الأخضر ابتسامة عريضة وقال:

- لا تخش شيئا يا صديقي الصغير، إنّ هؤلاء اليهود أشدّ جبنا من أرنب رأى أسدا في غابة.. !

إنّهم لايجرؤون على مهاجمتنا إلا بعد أن يتأكد مئة بالمئة أنّنا لا نحمل سلاحا نردّ به عدوانهم ، ولقد صدق القرآن الكريم عندما قال:

" **لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ** "

ألا ترى كيف اختبأوا وتحصّنوا داخل طائراتهم ..؟ وانظر إلى الجنود داخل الدّبّابات في الأسفل ، إنّهم لا يجرؤون على الخروج منها..إنّ حجرا صغيرا في يد طفل فلسطيني ؛ يجعلهم يشعرون بقلوبهم تكاد تقفز من صدورهم خوفا وهلعا .. !

ثمّ انتفض التنّين انتفاضة عظيمة وأخرج من جوفه نارا ، ودار دورتين حول نفسه فنسف تلك الطائرات ..فتناثرت قطعا في الجوّ ، واشتعلت الدّبّابات نارا وهرب من بقي حيّا من جنود بني القردة والخنازير ..

أحسّ يوسف بفرح شديد وجعل يصرخ :

- الله أكبر ..الله أكبر ...هزمت اليهود وحدك يا صديقي ، إنّك لبطل حقا.. !

قال التنّين الأخضر:

- هذا من فضل ربّي يا صديقي ، ولكن لا تفرح كثيرا؛ سيعودون وبأعداد أكبر في المرّة القادمة ...فدعنا نكمل رحلتنا قبل أن يفسدوها علينا ...

انظر إلى هذا الجدار الذي نقف عليه، إنّه حائط البراق ..هذا الحائط يا يوسف هو الذي ربط فيه رسول الله صلى الله عليه وسلّم البراق عندما جاء ليلة الإسراء والمعراج إلى بيت المقدس..

قال يوسف: وما هو البراق يا صديقي ..؟ هل تعرفه ..؟

أجاب التنّين الأخضر: أنا لا أعرف إلا ما أخبر به الرّسول صلى الله عليه وسلّم عنه ، عندما قال : إنّه دابة فوق الحمار ودون البغل ..

ثمّ أضاف التنّين الأخضر : وله سرعة عجيبة تفوق سرعتي بالآف المرّات ، ولعلّه سمي البراق لأنّ سرعته تشبه سرعة خطف البرق...
نظر يوسف إلى المسجد الأقصى ، فرأى قبّة الصخرة صفراء لامعة كالذهب فقال بفرح:

- هذا هو المسجد الأقصى ..أليس كذلك..؟

فقال التنّين الأخضر:

- كلا يا صديقي ! هذا ليس المسجد الأقصى ..إنّه مسجد قبّة الصخرة ، ولكن انظر إلى هنالك بعيدا عنه ببضعة أمتار ترى المسجد الأقصى ، إنّ النّاس دائما يخلطون بينه وبين مصلى قبّة الصخرة ، و كلّ هذه الأرض مقدّسة وكلّها أرض الإسراء والمعراج .. !

وقفز التنّين الأخضر إلى الأرض وسار خطوات مع يوسف في اتجاه ساحة المسجد الأقصى، فاعترض طريقهما شباب يتألق نور الإيمان في عيونهم وسألوهم:

- من أنتما وإلى أين أنتما ذاهبان ؟

نظر يوسف إلى التنّين الأخضر وسأله :

- من هؤلاء .. ؟

فقال التنّين الأخضر:

- هؤلاء حرّاس الأقصى ..إنهم شباب مجاهدون في سبيل الله ، مستعدّون للموت في سبيل الحفاظ على المسجد وقبّة الصخرة، وهم مرابطون ليل نهار خوفا من أن يتجرأ اليهود على هدم المسجد..

وأجاب يوسف الشباب:

- نحن مسلمان ..نريد زيارة المسجد والصلاة فيه ..

وبعد أن تأكد الشباب من صحّة كلام يوسف سمحوا لهما بالدّخول..وأفسحوالهما الطريق.. ودخل يوسف برفقة صديقه التنّين إلى باحة المسجد الأقصى..ثمّ ولج إلى المصلّى ، وتخيّل يوسف كيف صلّى النّبي صلى الله عليه وسلّم بالأنبياء في هذا المكان ليلة الإسراء والمعراج..

وشعر يوسف براحة كبيرة ، وطمأنينة عظيمة وهو في رحاب المسجد المقدّس...وفجأة سمع أصواتا عالية وضجيجا كبيرا ، فالتفت خلفه فإذا به يرى مجموعة من الشباب (حراس المسجد) يدخلون بسرعة ويحذرون يوسف من الخروج من المسجد ثمّ تركوا معهم اثنين لحراستهما، وأغلقوا باب المسجد ثمّ خرجوا لمواجهة قوآت العدوّ الصهيوني التي حاصرت المسجد وبدأت تطلق الرّصاص في كلّ اتجاه...

قال يوسف للتنّين الخضر:

- ابق هنا يا يوسف..فأنت ما زلت صغيرا ، أمّا أنا فسأنضمّ إلى المعركة لأعلّم هؤلاء الأنجاس درسا لن ينسوه أبدا ، وقبل أن ينطق يوسف بكلمة واحدة ؛ اختفى التنين الأخضر عن ناضريه وتركه وحده في مصلّى المسجد..

وظلّ يوسف في حيرة من أمره يروح ويجيء ، ونفسه تشتعل غضبا وحماسة ، وقلبه يتقدلهبا، يريد أن يخرج ويقاتل اليهود الظالمين.. ولمّا طال عليه الأمر – وهو يسمع طلقات الرّصاص ودويّ المدافع – طلب من الشابين المكلفين بحراسته أن يسمحا له بالخروج ، ليشارك في معركة الدّفاع عن الأقصى..

قال أحد الشابين:

- لا عليك يا يوسف أنت ما زلت صغيرا ، والشباب خارج المسجد يقومون بدورهم في جهاد الأعداء ودفعهم عن المسجد الطاهر ...

قال يوسف:

- لا .. لا أريد ان أظلّ مكتوف اليدين ، لابدّ أن أخرج وأشارك في الدفاع عن المسجد الأقصى مع الشباب الأبطال..

قال له الشاب الفلسطينيّ:

- يبدو أنّك مصرّ على ذلك..

فقال يوسف بحزم:

- نعم..

فقال الشاب الفلسطينيّ :

- إذا خذ هذا ..

ومدّ له يده بحجر أبيض لمّاع كالألماس ..وقال له:

- هذا سلاحنا ضدّ بني القردة والخنازير ، اضرب به وأنت تنشد:

" **في القدس قد نطق الحجر ..لا مؤتمر ..لا مؤتمر ..أنا لا أريد سوى عمر.. في القدس قد نطق الحجر..** "

وأمسك يوسف الحجر بيده ، وخرج إلى ساحة المسجد الأقصى ليواجه اليهود ويقذفهم به مثل الشهاب الثاقب وهو يصرخ مع الشباب:

- في القدس قد نطق الحجر ...في القدس قد نطق الحجر .. !

الفهرس